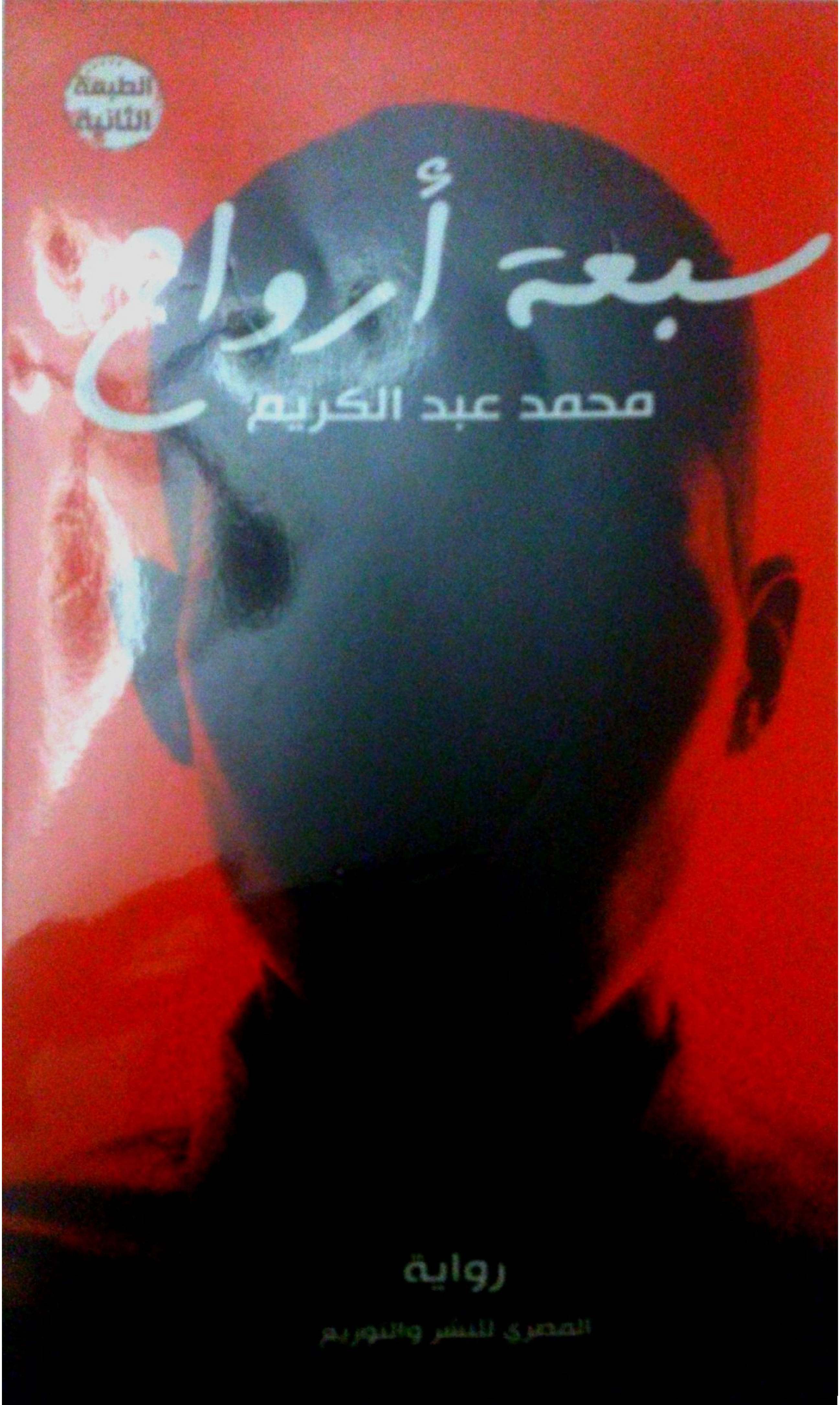

الطبعة الثانية
سبعة أرواح
محمد عبد الكريم
رواية
المصري للنشر والتوزيع

سبعة
ارواح

رواية

محمد عبد الكريم

دار المصري للنشر والتوزيع

إهداء

لأمي اللي علِّمتني القراية وقالت لي كفاية كده لعب بلي... سلِّم الراية.

وأبويا اللي قالي إن الراجل الجدع لازم يوصل لأحلامه مهما شال في السكة على كتافه.

لأخويا الواد الصغير اللي ضحكته بتطمِّني إن ليا ضهر في الدنيا...

ولعاطف طعمة اللي خلاني أبطل أقرا ميكي وجابلي كتب أحمد خالد توفيق... وعبد الرحمن طعمة اللي كان بيكتب ملاحظات على الكتب أكتر ما أحمد خالد نفسة كان بيكتب، واللي علمني إن وقت اختيارك لسكتك ميعديش أبدًا مهما حصل...

لناس كتير ليهم جوايا حتة... يارب روايتي الأولى تبقي حتة منهم.....

1

تدخل بريشكا بشعرها الأسود الغامق وجسدها المتناسق الممشوق خمريّ اللون إلى غرفة نوم عمر بجسده الأسمر الرياضي وهو يرتدي شورتًا أحمر فقط، يزيده جاذبية على الرغم من علامات العُبوث والخمول التي تملأ وجهه. ثم تجذبه من يده وهي تلقي بحذائها ذي الكعب العالي بعيدا، تدفع عمرو على السرير وتفتح شباك الغرفة المطل على النيل لتزيدها نسمة الهواء النيليّ، التي تسببت في طيران شعرها، بهاءً على بهائها. تتوقف قليلًا وهي تنظر إلى عمر في تحدٍّ وذكاء وابتسامة غريبة

وسط المانيكانات التي تملأ الغرفة ويستخدمها عمر في وضع تصميماته عليها. تخلع كتفي ثوبها أبيض اللون وتتركه ليسقط عن جسدها الناعم لتظهر فاكهتها أمام عينيه وهو مستلقٍ على ظهره.

يتفحصها وهي تتراقص أمامه متمايلة في مكانها كأنها إحدى راقصات قبيلة إفريقية ترقص حول النيران في إحدى الليالي المقمرة.

الهواء البارد يزيد من نشوته وجفاف حلقه ومن نُضج حبَّاتها ونفورها.. تناديه دون أن تنطق بكلمة كي يطفئ ناره فيها فيدفّئها كما تحب.. تتمايل بخبرة مَن تعرف ما يبحث عنه فيها، فيتحرك سلاحه من أسفل ملابسه معلنًا عن رغبته في أن يبدأ الحرب.. تجلس بين قدميه وتقبِّل فخذه وتبتسم في البداية بحنُوٍّ ثم بمكر اعتاد عليه منها عندما ترى سلاحه يزداد حدة ووضوحًا فتزداد شوقًا إليه.. يداعب النوم عينيه ولا يعرف سر حضور النوم له في أوقات كتلك، إلا أنه يستسلم لسلطانه وينام.

2

داخل أحد أجهزة الأشعة الخاصة بالرنين المغناطيسي دائرية الشكل يفيق رجل الأعمال الشهير ذو السبعين عام أمجد مصطفى. يخرج الجزء السريري من داخل الجهاز، ويقف حول أمجد عدد من المتخصصين الكبار ومساعدوهم. يتحدث إليه الدكتور ويقول: «لا.. لا.. زيّ الفُلّ.. إنت زي الفُلّ مافيش أي تطورات للورم الحمد لله». يعتدل أمجد الذي يرتدي مريلة تكشف عن أجزاء كثيرة من جسمه وهو في غاية العصبية «إنتو خرّجتوني؟ ليه خرّجتوني ليه يا ولاد الكلب؟ مين صحاني؟».

تقف أمامه فجأة سميرة محسن، سكرتيرته الأقرب إليه، وتضع يدها أمامه لكي يتعكّز عليها وتحدّثه دون أي تكلُّف «خلاص يا أمجد خلاص إنت بقالك ٣ ساعات جوَّه وهمَّا خلَّصوا الأشعة من بدري».

يحاول أمجد أن يقف منفردا في البداية إلا أنه يتعكز عليها قبل سقوطه وهو في غاية العصبية والجميع من حوله يتهامسون: «بفلوسي.. أقعد ساعتين، تلاتة، ألف.. بفلوسي».

- «ماعلش يا أمجد بس ده مش حلو على صحتك».. يقهقه وهو يخرج معها إلى غرفته «صحتي إيه يا حمارة انتي. ما تسيبوني أخلص إنتو فاكرنّي هاموت! إنتو حمير، أنا مش هاموت، أنا هاعيش فيهم.. في صحتهم وشبابهم وجنونهم».. تقاطِعه سميرة وهي تنظر خلفها تحاول التأكد من أن أحدًا لم يسمعه «كفاية جنان بقى يا أمجد، بدل ما عصفورة من عصافير والدك ينقل الكلمتين دول ويستخدموهم في القضية».. «قضية إيه وخرا إيه.. طظ في القضية وفي ولادي وفيكي انتي كمان.. كلكم حمير».

يبتسم أمجد وهو يتعكز على سميرة لملاقاتهم الممرضة

فتحية بحجمها الضخم وتضاريسها التي تكفي عددًا من النساء معها، ويضربها على مؤخرتها وهو يخرج فتصرخ فيه بدلع: «يا باشا!».. تغتاظ سميرة أكثر لتصرفات أمجد البلهاء: «مش هتبطّل رمرمة».

ينظر بطرف عينه في اتجاه فتحية وهو يبتسم: «يا ريت كل الستات زي فتحية». ولا ترى سميرة غمزة العين التي قام بها أمجد لفتحية وتسببت في اتساع وجهها بابتسامة تملؤه وتُظهِر أسنانها البورسلين التي تضعها بديلا عما أكلته السنين منها.

3

بمجرد أن تضعه سميرة على سريره في الجناح الفخم داخل مستشفى «دار الفؤاد» يصرخ فيها أمجد: «يلَّا مع السلامة، عايز أنام». تنظر إليه سميرة وهي ترفع أحد حاجبيها، وتحضر كرسيًّا وتجلس أمامه: «أنا قاعدة معاك شوية يا أمجد، في حاجات بتحصل في الشركة لازم تعرفها». يقهقه أمجد لدرجة تجعله يَشْرَق فتقوم سميرة وتناوله كوبا من الماء فيشرب منه وهو يضغط على الجرس الخاص باستدعاء الممرضة. ويتحدث أمجد إليها بلهجة ساخرة: «عبط.. كلكم عبط.. ماحدش

فيكو فاهم اللي بيحصل في الدنيا.. أنا لو عايز حاجة من الشركة أو من الفلوس هاخدها حتى لو حطيتوني وسط جزيرة لوحدي هاطْلَعْ لكم في ناس تانية وبشكل تاني».

تأخذ سميرة الكوب من أمجد وهي في غاية العصبية: «أنا بقالي معاك فوق العشرين سنة يا أمجد وباعمل كل حاجة إنت بتقولها، ومش هاقولك أنا مصدقة حكاياتك ولا مش هتفرق معايا، أنا باحافظ على سمعتك عشان الشغل في الأول وفي الآخر، كفاية بقى عشان ماحدش يقول عليك مجنون». تقترب منه سميرة قليلًا وتحدِّثه بصوت منخفض وهي لا تلاحظ فتحية التي دخلت من الباب وتقف خلف البرافان الموجود في الغرفة وفي يدها كوب عصير برتقال تضع فيه سائلا موجودا في زجاجة صغيرة ثم تضعها في جيبها مرة أخرى. وتقف منتظرة سميرة لكي تنتهي من حديثها مع أمجد.. «أنا عمري ما سألتك عن سبب طلباتك الغريبة ولا قلت لك ليه بتساعد ناس غلابة تقوى على ناس غلابة تانية، ولا ليه بتقول لي أموِّت ده ولا أنام مع ده.. كل ده عشان أنا البير اللي بترمي فيه وساختك وجنانك وباقفل عليها، لكن

إنت كده ريحتك هتفوح، ولادك ما هيصدقوا يلاقوا حاجة يكسبوا القضية ويحجروا عليك ويقعّدوك بروب وسيجار في أوضة في فيلا من فيللك لحد ما تموت».

تصرخ فتحية من مكانها وهي تقف تتابع الحديث دون أن يلاحظها أحد: «يا لهوي بعد الشر عليك يا باشا».. دخول فتحية المفاجئ تسبب في ظهور علامات الرعب على وجه سميرة: «إيه ده انتي هنا من إمتى؟».

- فتحية: «أنا هنا من بدري يا هانم».

- سميرة: «أنا لازم أقول للمدير عليكي، إزاي تقفي كده من غير ما تخبّطي ولا تعملي أي حاجة تقولي بيها إنك هنا.. انتي اتجننتي!».

ترفع فتحية حاجبها وتضع كوب العصير بين يدي أمجد وهي تتحدَّى سميرة وتتدلل على أمجد: «الباشا سمحلي أدخل وقت ما أنا عايزة ولا بياكل ولا بيشرب إلا من إيدي.. مش كده يا باشا!».

يأخذ أمجد من يدها العصير بلهفة غريبة وينظر إليه في حب «آه يا آه.. سيبي فتحية براحتها».

تخرج فتحية وهي تتقصّع أمام سميرة فتزداد سميرة عصبية.. «طب يا أمجد يا أنا يا البت دي.. بتحبك؟ بتعملك كل اللي انت عايزه؟ مرتاح لها؟ يا هيَّا يا أنا اللي هاسيبلك الشغل يا أمجد».

يظهر وجه أمجد الآخر، وجه أرستقراطيّ متسلط تبرق عينيه بالشر وتدبّ فيه حياة وعصبية وقوة وهيبة لم تكن ظاهرة من قبل «أنا مش فاضي لشغل النسوان ده.. فتحية دي زيها زي أي واحد منكم كلب بيجري ورا فلوسي وسلطتي.. أنا اللي أحدد مين يقرَّب من حدودي ويعدّي كام خط من اللي حواليه ويقف عند أنهي بالظبط.. إوعي تنسي نفسك، إنتي حتة من بَكَرة المناديل اللي بامسح بيها الخرا.. لولا فتحية كان زماني اتجننت.. كلكم بتكدبوا عليَّا ماحدش فيكو باسأله ناقص لي قد إيه واخلص من الجسم ده ويجاوبني بصراحة، حتى انتي اللي بتشتغلي بفلوسي بقيتي تعملي زيهم».

تقف سميرة بعصبية وهي تلملم أشياءها في شنطتها وتستعدّ للرحيل. يُخرِج أمجد من أسفله علبة سجائر جديدة ويشعل منها سيجارة ويتنفّسها بشراهة فتنظر إليه

سميرة بعصبية مستنكرةً فعْلته إلا أنه لا يأبه بها. «إنك تستنّي الموت سنين وسنين ويبقى هوّ أملك الوحيد. إن الياس يبقى حاجة صعبة عليك، كل ثانية بتحاول تيأس فيها وتقول يمكن جسمك يتهدّ وتخلص من حقن الكيماوي والأشعة والدوخة والترجيع والألم اللي مابيروحش... كل ده مش سهل يا سميرة، مش سهل، وانتو أغبيا مش عايزين تفهموا. يا حماااارة أنا مش هاموت، أنا هاجيلك في أي حد تاني فيهم».

تعوج سميرة فمها وهي تلملم حاجتها وهي لا تصدق ما يقوله أمجد: «إنتي.. انتي بقالك كام سنة شغالة معايا... عشرين؟ فيه مرة قلت لك على حاجة وطلعت غلط؟ مش انتي اللي بتجيبى لي خلطات العطارين والأدويا الممنوعة عشان أنام كام مرة؟ حكتلك اللي عملتيه مع عمرو فاضل.. كام مرة روحتي عشان تحلّي لجهاد مشكلة وتطلع صح؟».

يداعب النوم عينَي أمجد فيتثاءب وتتداخل في خياله لقطات لعمرو وهو ينام على سريره في غرفته، وبريشكا ترتدي ملابسها وترحل، إلا أنه يتمالك نفسه حتى لا

ينام، ويعود للحديث مع سميرة «انتي يا هبلة أنا باحاول أفهِّمك حقيقة اللي بيحصل لنا في الدنيا دي، أكيد انتي كمان ممكن تكوني ناس تانية.. الروح دي سر كبير لسه مانعرفش عنه حاجة».

يتثاءب مرة أخرى، إلا أن سميرة تقلق عليه، وتقترب منه حتى تتأكد أنه بخير: «أمجد.. إنت كويس؟ هيًّا فتحية حطّتلك حاجة في العصير ده؟ أكيد حد من عيالك عايز يخلص منك».

أمجد: «ههههه... أنا كويس هههه، هو أنا ليًّا غير فتحية هههههه، فتحية بتعمل اللي أنا باقول عليه، أنا اللي قايل لها تحطّلي حاجة تنيّمني هههههههه، ماتقلقيش عليًّا يا سميرة، يلّا روَّحي». يتثاءب أمجد أكثر وينام!

5

على أرض إحدى غرف مستشفى «المعادي الخاصّ للأمراض العقلية والعصبية» يجلس مروان ذو الخمسة والثلاثين عاما، يفتح عينَيه بقوة و«تبريقة» وهو يحاول ضييق المساحة بينهما كأنه يركّز على شيء ما. ملامحه لقوية وشعره القصير يزيدانه غموضا، والمريلة البيضاء لتي يرتديها كأنه بلا أذرع تزيد من الرهبة. يقف إلى شباك اب الغرفة التي لا توجد بها إلا قطعة كبيرة من الإسفنج وضوعة على الأرض مباشرة تمنعه من استخدامها في ي طريقة للانتحار مدهونة باللون الأبيض المنتشر في كل

الغرفة التي لا يوجد بها أي فتحات أو مكونات أخرى.

يقف مروان بجانب الباب ويتنحنح عدة مرات في هدوء: «عم إسماعيل.. عم إسماعيل» ليظهر وجه رجل ذو ملامح قاسية في الجهة الأخرى من الباب، يظهر من وضع رأسه المنحني قليلًا أنه ضخم الجثة وأنه اضطر إلى الانحناء حتى يتحدث مع مروان: «صباح الخير يا عم مروان.. عايز إيه؟ أجيبلك أكل؟».

- مروان: «لا يا إسماعيل أنا عايز أطرطر».

- إسماعيل: «تطرطر؟! طيب ثواني هانادى محفوظ ييجي معايا».

- مروان: «لا يا إسماعيل والنبي أنا مزنوق عَ الآخر، والنبي خرَّجني أطرطر بدل ما أبهدل الدنيا هنا».

ينظر إليه إسماعيل مترددا، إلا أنه يرضخ له في النهاية ويفتح الباب ويظهر من الطرقة الضيقة أن إسماعيل يقف حارسا وخادما لعدد من مرضى قسم «الانفصام والتهيؤات» وفي أحد الجوانب يظهر «البويلر» وجرس لاستدعاء الأمن عند الحاجة وحمام صغير بابه لا يختلف

كثيرًا عن باب الغرف، حمام بلدي بحنفية صغيرة.

يقف مروان أمام الحمام قليلًا ثم يلتفت بظهره إلى إسماعيل حتى يخلع عنه القميص الذي يلبسه ليتمكن من دخول الحمام. بمجرد أن يفك إسماعيل أزرار القميص الأولى حتى يندفع مروان من داخل القميص كأنه بركان وأتى أوان انفجاره فيحرر يديه من قبضة القميص الذي كتَّفه به إسماعيل الذي يصرخ: «الحقوووووني».. لحظات ولم يحضر أي شخص... يكتِف مروان إسماعيل ويبدأ في الهرب إلى الخارج.

بمجرد وصوله إلى السلم الخارجي يكتشف أن هناك مَن يتابعه عبر كاميرات المراقبة وأصدر أوامره بالقبض عليه وإعطائه حقنة مهدِّئة فينتهي أمر مروان بسرعة... يظهر له على السلم اثنان يمسكان به ويقيدانه ويضعانه في غرفته بعد أن يحقناه بحقنة مهدئة فيهدأ وينام وهو يصرخ أنه «مش مجنوووووون»!

6

في ميكروباص «رمسيس-بولاق» تستيقظ جهاد ذات الثلاثة والعشرون عاما على دَفْعة سيدة عجوز تجلس بجانبها وتصرخ فيها «انتي مش كنتي هتنزلي عند الجامع».. تنظر إليها جهاد وهي لم تتخلص بعد من النعاس وتحاول أن تستجمع الكلام: «إيه.. لأ.. آه.. أنا نايمة من بدري؟». «آه ياختي اتعدلي كده واعدلي الطرحة إحنا بقالنا ساعتين ونص في الطريق وانتي نايمة من أوّله وعماله تتأوهي وتأحأحي ولا كأنك على السرير».

تحاول جهاد استجماع قواها واستعادة تركيزها. على

الرغم من أن جهاد لم تتجاوز عامها الثالث والعشرين وغير متزوجة، إلا أنها مثال حي للمصرية المنهكة، قمحية البشرة، شعرها الأسود يخرج من أسفل غطاء الرأس الذي ترتديه، ترتدي «تايير» و«جيب» بنيّ اللون، ويضيف الحذاء البُنّي الذي ترتديه بعلامات الخياطة المنتشرة على حوافّه؛ نظرا إلى قدمه وكثرة استخدامه، بُعدًا آخر لصورتها الفقيرة، إلا أن ذكاء غامضا ستجده في عينيها مختبئا وراء لوح زجاجي تواجه به العالم وتخفي خلفه حزنها وقهرها واستسلامها لحياتها التي لا تشابه ما تراه في أحلامها، لا تشابه ما يعيشه أمجد ولا ما يعيشه عمرو. تسأل نفسها أحيانًا: هل سأتزوج في وقت ما من شابّ مثل عمرو، شاب يتمكن أن يفعل بها كما يفعل في بريشكا، شاب تستطيع معه أن تصرخ من النشوة صرخة تُسمِع كل شارعها؟ وماذا سيحدث إذا استطاع رَجُلُها الذي رسمته لها أمها بالورقة والقلم أن يحقق لها مرادها؟ كيف سيتعامل معها أهل الشارع عندما يسمعونها تصرخ منتشية؟ ماذا ستقول عنها أم شيماء؟ وهل سيضعها الواد هبشة في صف الستات اللي مش محترمة أو «الشراميط» كما يطلِق عليهم عند أول خلاف يحدث بينه وبين أي حد

في الشارع أو في ليالي الشتاء التي يزيد فيها من شرب المِيّة «الخمرة»؟

تفيق جهاد من شرودها وقد توقَّف الميكروباص.

تحت شجرة عتيقة في شارع الملكة يتوقف الميكروباص الذي تركبه جهاد. لم يعد هناك غيرها، تجلس شاردة الذهن في الكرسي الأوسط. السائق ينظر إليها بأسنانه الصفراء والشهوة التي تملأ عينيه متمنيًا عدم نزولها. وعلى الباب تقف السيدة التي تحدثت مع جهاد من البداية وهي تنظر إليها بمعاتبة «ما تيلّا يا بنتي السواق رايح يجرّش». تلملم جهاد شنطتها وتحاول أن تعدل من وضع الحجاب على رأسها لتداري ما ظهر من شعيرات وتنزل من الميكروباص والسائق يحاول أن يُبقي عليها: «ما تخليكي يا آنسة نجرّش سوا ده الليل لسه في أوّله».

تنزل جهاد وتمشي بجانب السيدة في شارع لم يتم رصفه. في منتصف القرن الماضي بحث القائمون على تسمية الشوارع عن شارع يمكنهم أن يسمّوه باسم «الملكة» حتى يتم تخليد اسم ملكة السعودية بجانب اسم الملك فيصل الذي سُمِّيت منطقة فيصل على اسمه

فلم يجدوا سوى هذا الشارع، إلا أنهم نسوا أن يقوموا بتطويره، ولم تدم العلاقات بين مصر والسعودية جيدة طويلًا فانتهى حال الشارع إلى هذا الشكل دون رصف أو إنارة إلا أمام محلات الوجبات السريعة وعربات الكبدة والسجق المنتشرة في الشارع.

تحاول جهاد والسيدة أن تصلا إلى وجهتيهما عبر بِرَك من المياه الراكدة والتكاتك المنتشرة. تتقافز الاثنتان بين النقاط التي يَقِلّ فيها منسوب المياه. السيدة تحاول بشكل مريب اللحاق بجهاد وهي تصرخ فيها بصوت يكاد يُسمع للمارة: «خلّي بالك من نفسك يا بت.. يا بت اسمعيني أنا عارفة اللي بيحصلك.. أكيد أمك بتقول لك إوعي تقولي لحد لا سوقك يقف.. بس هيقف يا ختي، هيقف».

تتباطأ جهاد قليلًا في جريها، تحاول أن تسمع من الست أكثر لتتأكد أن ما تسمعه حقيقة، لتتأكد أن هناك مَن يعرف حقيقة ما يحدث لها، لتتأكد من أن لأحلامها المتوالية تفسيرا، أن استغرابها أن تحلم بأنها شخص آخر أو تحديدًا أشخاص آخرون، أشخاص لا تعرف مَن هم

تحديدًا، تحلم أحيانًا بأنها أمجد مصطفى رجل الأعمال الذي لمحت صورته معلّقة على بانر كبير وهي في طريقها إلى الجامعة، وكيف اكتشفت أنه رجل حقيقي من لحم ودم، وهل ما تراه في أحلامها هي حقيقته أم ماذا..؟ تقطع صرخة السيدة شرودها مرة أخرى «أنا هاعرف أطلّع اللي عليكي».. هنا يزيد الأمر على قوة احتمال جهاد فتتوقف في مكانها دون أن تلاحظ خطواتها التي تغوص في الطين: «أنا ماعليش حاجة، أنا زي الفل وبقيت باصلي الصلاة في وقتها وزي الفل».

تنظر إليها السيدة بابتسامة ماكرة منتصرة: «لو متأكدة يا حلوة من كلامك ده براحتك، بس بقى لو بتكرهي الحموم، لو سريرك أمك بتلطم كل يوم من وساخته، لو بتشتهي الستات زي ما بتشتهي الرجالة يبقي تعاليلي اسألي عن أم عزة في حارة الساقية».

تتركها السيدة وتبتعد، وجهاد تتابعها بنظرة فارغة وبداخلها آلاف الأسئلة التي لا تستطيع أن تقولها: «كيف عرفت تلك السيدة حالتها؟ كيف وصلت إلى سريرها ورأت الأوساخ وبقايا الطعام التي تملؤه؟ وإن

كان هذا الموقف كله مدبَّرا من قِبل أمها؛ فهي الوحيدة التي تعرف كل تلك التفاصيل، فما الذى غيَّر موقف أمها بهذا الشكل وهي التي ترفض منذ البداية أي حديث متعلق بالجن والمَسّ حتى لا يمنع أي شيء قطار الزواج من الوقوف عند بابهم؟ وإن كانت أمها قد قررت أخيرًا البحث معها عن حل لما تمر به فمَن أخبرها بأنها تشتهي النساء؟ هذا أمر لم تصرّح به حتى لنفسها! مَن قال لها إنها تستمتع عندما ترى عمرو فاضل يسيطر على بريشكا أو عندما كان مروان يعاشر السيدات في شرم الشيخ في بداية تقمصها شخصيته في أحلامها التي بدأت منذ سنوات قليلة؟ مَن حكى لها عن كل هذا؟ شعرَت جهاد بدوّار، إلا أنها حاولت أن تتمالك نفسها واتجهت في طريقها إلى البيت.

بمجرد وصولها إلى شارعها تذكرت أن اليوم يوم حنة شيماء جارتها التي لم تتجاوز بعد الثالثة عشرة. الشارع ممتلئ بشباب كثير، لو رأتها أمها الآن ستقول لها: «مش كنتي غسلتي وشك كده ومشيتي اتقصّعتي يمكن يجيلك عريس من الحنة دي.. أمّال البنات بتروح الأفراح ليه!».

إلى الموجودين في الفرح. تفاجأ جهاد بهذا الدوار يعود مرة أخرى كأن هناك مَن يحاول أن يسحب روحها منها، وكأن جزءًا منها يطير في الهواء يجعلها تشعر بالنعاس والنوم. الصداع يسيطر عليها ويضيف صعوبة إلى قدرتها على التحكم في نفسها، وكأن هناك مَن يضعها أمام شاشة تليفزيونية كبيرة في مكانٍ ما ترى نفسها في جسد مروان وهو مربوط في السرير داخل إحدى غرف مستشفى «المعادي للأمراض العقلية» يقوم مندفعًا كأنه يحاول أن يتخلص من شيء ما يكتِّفه إلا أنه لا يستطيع.

تحاول جهاد أن تتمالك نفسها حتى لا تقع، إلا أنها تلاحظ أن مشيتها قد اختلّت بالفعل في لحظات رؤيتها لمروان. تتمالك نفسها قليلًا وتسرع من خطواتها حتى تصل إلى باب البيت إلا أن هذه اللقطات تعود مرة أخرى. فمروان في المستشفى ينام في نفس مكانه ويحاول أن يفلت جسده من السرير مرة أخرى ولكن قد اجتمع حوله ممرضون ضخام الجثة يحاولون تكتيفه من أجل تخديره مرة أخرى.

تكاد جهاد تسقط على الأرض وسط الفرح الذي هدأ

الصوت فيه وأغلق الشاب الواقف على الـ«دي جيه» الأغاني وأصبحت هي مركز الحدث في الفرح وجميع العيون تتابعها. قبل أن تسقط كانت أمها تمسك بيدها وهي ترتدي جلباب منزل وطرحتها موضوعة على رأسها دون أن تربطها دليلا على إسراعها في اللحاق بابنتها: «جهاد.. مالك يا حبيبتي».

تتداخل الأصوات التي تحاول أن تتبرع بإيجاد حل لمشكلتها: «هات كرسي تقعد عليه.. حبة مَيّة يا جدعان». تنظر والدة جهاد حولها بمنتهى القلق فهي في النهاية تعلم أن متصيدي جسد ابنتها أكثر ممن يرغبون في مساعدتها فعلا؛ فنصف مَن يقفون في الفرح مساطيل لن يفوِّتوا الفرصة لِلَمْس جزء من جسد ابنتها أو احتضانه وآخِر ما تريده أن يصبح هذا الجسد الذي نَبَت من جزء منها لبانة تُمضغ في مجالس نميمة الشارع وقعدات مساطيل. لم تكن تعرف أن جهاد الآن لا ترى إلا ما يحدث مع مروان، لا ترى إلا جسمَين ثقيلَين لاثنين من الممرضين قد ارتميا فوقه ليثبِّتاه بعد حالة الهياج التي انتابته، وهناك ثالث يحاول تثبيت ذراعه لكي يغرز فيه حقنة المخدر

حتى يتمكن وينساب السائل في جسد مروان الذي يهدأ قليلًا قليلًا والسائل ينساب في داخل جسده حتى ينام. وتفيق جهاد على أمها وهي ترمي في وجهها الماء وتحاول إفاقتها وتحتضنها بكل جسدها حتى لا يلمسها شخص آخر: «الحمد لله يا حبيبتي.. الحمد لله». ترى جهاد جميع الواقفين حولها تشعر بحرارة تجتاح وجهها خجلًا وتمشي مع أمها متوجهتَين إلى البيت بعد أن استعادت روحها تمامًا وعاد الشباب إلى الـ«دي جيه» الذي عادت أغانيه وعاد الجميع إلى الرقص.

وعلى الرغم من حالة جهاد وإرهاقها فإنها شعرت بطمأنينة، فها هي ستنام دون أن ينغّص عليها أحد نومها، ستحلم بشخصياتها الأخرى دون أن توقظها أمها في الصباح لتعيد ترتيب الشقة كما تفعل في صباح كل جمعة بعدما تستيقظ راضية عن الجميع وتحديدا عن الأب بعد ليلة خميس حافلة تنتظرها من الأسبوع إلى الأسبوع. المهم الآن أنها تعلم أن أمها ستبعد عن سريرها الجميع لن يجرؤ أحدهم أن يقترب منها ويوقظها في أي وقت، لن تدفعها أمها في الصباح لكي تساعدها... اليوم هو

الأسعد لها؛ فهي ستحلم فقط وستفعل كل ما تتمناه في أحلامها. تأخذ رشفة أخيرة من كوب النعناع الأخضر الذي صنعته لها خالتها لكي يروّق بالها. ستستمع بسريانه المنعش والمهدّئ وهي تتذكر لحظات وقوفها بجانب طاجن الفخار الموجود في البلكونة والذي قررت أمها أن تزرع فيه النعناع بعد أن انتهت صلاحية الطاجن وأصبح الطعام يتسرب منه. تتذكر لحظات هي الأحب إلى قلبها سواء في هذا الواقع أو في ما تعتقد أنه حلم وقت شروق الشمس مع نسمة الهواء الباردة في الصباح مع رائحة النعناع إذا كانت في بلكونتها، أو برائحة مياه النيل إذا كان الحلم من نصيب عمرو فاضل، أو برائحة عربات الفول عندما ترى نفسها في «كوكي» وهو يجري تحت أرجل الموظفين في وسط البلد، أو حتى برائحة عَرَق الرجال الذين تعاشرهم سوسن في سياراتهم على الطريق الصحراوي بعد أن تنتهي من نمرتها في ديسكوهات المريوطية... إلا أنها تبتسم ابتسامتها الأخيرة قبل أن تغطّي وجهها بالألحفة وتنام.

7

بجسدها الأبيض الممتلئ تنام سوسن على سرير فخم في غرفة نوم واسعة غير متناسقة وهي ترتدي قميص نوم أزرق قصيرا يُظهِر أكثر مما يخفي. تنام سوسن في وضعية الجنين وذراعاها ملتفّان حول نفسها كأنها تحتضن نفسها لتطمئن، ولكن وجهها الملطخ بآثار الكُحل الذي تناثر مع دموعها ملأ وجهها والوسائد التي تنام عليها. عندما تتقلب في السرير تتقلب كالأطفال كأنها ترغب في أن تملك الدنيا كلها. يداها ورجلاها مفتوحة عن آخرها، تحاول أن تأخذ أكبر حيّز من السرير، تأخذ أنفاسا عميقة

ثم تعود لوضع الجنين مرة أخرى، إلا أنها تستيقظ في النهاية بعدما تدخل عليها «سهر» (سيدة ستينية متوسطة الوزن شعرها أصفر اللون فاقع جدا) تأكل من طبق مكرونة بالبشاميل: «يلّا يا قطة، صباح الخير بالليل، يا قمر الليالي، يلّا يا سوسو الساعة عشرة ونص، على ما تطسّي وشك بشوية مَيّة وتتريحي تكون بقت اتناشر، يلّا يا قطة الواد عادل رنّ عليّا وقال لي الزباين بدؤوا يهلّو يلّا يا بت». تتمطع سوسن في مكانها وهي تنظر إليها بعين نصف مفتوحة: «ما بلاش النهارده يا سهراية، بلاش النهارده خدي باقي البنات وانا هاريّح النهارده». تجلس «سهر» بجانبها وهي تأكل وقد ضحكت ضحكة مجلجلة «هي هئ هئ يلّا يا حلوة مصاريفك كتيرة يا حبيبتي إيجار وأكل وشرب وهَمّ ما يتلمّ يلّا يا بياضا». ثم تمد يدها وتقرصها من فخذها البيضاء المكتظة وهي تضحك: «يخرب بيت حلاوة لابليك. قومي يا بت الشباب نفسها تاكل.. وهو فيه ست عاقلة تقول للكيف لأ».

تلاحظ «سهر» آثار الدموع على الوسائد فترتدي نظارتها المعلقة في رقبتها فيتضح وجه سوسن الممتلئ

ثم تعود لوضع الجنين مرة أخرى، إلا أنها تستيقظ في النهاية بعدما تدخل عليها «سهر» (سيدة ستينية متوسطة الوزن شعرها أصفر اللون فاقع جدا) تأكل من طبق مكرونة بالبشاميل: «يلّا يا قطة، صباح الخير بالليل، يا قمر الليالي، يلّا يا سوسو الساعة عشرة ونص، على ما تطسّي وشك بشوية مَيّة وتتريحي تكون بقت اتناشر، يلّا يا قطة الواد عادل رنّ عليّا وقال لي الزباين بدؤوا يهلّو يلّا يا بت». تتمطع سوسن في مكانها وهي تنظر إليها بعين نصف مفتوحة: «ما بلاش النهارده يا سهراية، بلاش النهارده خدي باقي البنات وانا هاريّح النهارده». تجلس «سهر» بجانبها وهي تأكل وقد ضحكت ضحكة مجلجلة «هي هئ هئ يلّا يا حلوة مصاريفك كتيرة يا حبيبتي إيجار وأكل وشرب وهَمّ ما يتلمّ يلّا يا بياضا». ثم تمد يدها وتقرصها من فخدها البيضاء المكتظة وهي تضحك: «يخرب بيت حلاوة لابليك. قومي يا بت الشباب نفسها تاكل.. وهو فيه ست عاقلة تقول للكيف لأ».

تلاحظ «سهر» آثار الدموع على الوسائد فترتدي نظارتها المعلقة في رقبتها فيتضح وجه سوسن الممتلئ

بآثار الكحل مع الدموع: «انتي كنتي بتعيطي ليه».

- سوسن: «أنا أنا ماكنتش باعيَّط».

- سهر: «أمّال إيه اللى في وشك ده انتي رجعتي تعيطي وانتي نايمة تاني».

- سوسن: «ماعرفش أنا باحسّ بحاجات غريبة، باشوف نفسي في مستشفى مجانين وساعات في شقة على النيل، إمبارح لما مشيت مع الواد محسن اللي بييجي من المعادي ده ودّانا كومباوند عند مول العرب أنا متأكدة إني رُحته قبل كده، كنت عارفة فيه شوارع كتير، وشُفت واحدة حسّيت إني نمت معاها قبل كده ماتسألينيش إزاي، أنا مش جاهلة يا «سهر» بس اللي باشوفه وباحسّه ده حقيقي مش أحلام».

تقوم «سهر» بعد أن ظهرت علامات الرعب على وجهها «بسم الله، لا ياختي أحلام وعادي يعني ما انا ساعات باقول على رجالة أول مرة ييجو الديسكو إني شُفتهم قبل كده ويطلعوا أول مرة ييجو مصر، إحنا اللي بيركبونا كتير يا بت وسوقنا ماشي ماتوقفيهوش انتي

بقى بِبُقّين أي كلام زي دول.. يلّا قومي وبعدين طب مادام ليكي في الستات وبتحلمي بيهم ماتسيبيلي نفسك ده لقمتهم بتبقى زي الشهد وانتي فرس والطلب عليكي هيعلّي سعرك في السوق».

- سوسن: «لا ياختي كفاية الرجالة».

تقوم وتقرر أن تخرج: «انتي بتاكلي إيه يا سهراية؟».

- سهر: «شيرين عاملة مكرونة باشميل وكوبيبة.. قومي الحقيلك حاجة».

تبتسم سوسن بعدما تخرج «سهر» من الغرفة، وتعتدل في مكانها وتتابع ملامح غرفتها غريبة التنسيق كأنها لم تلاحظها منذ فترة. الغرفة بها سرير فخم ولكن باقي مكونات الغرفة لا يشبه هذا السرير، فباقي قطع الغرفة يوحي بأنها غرفة طفل، المرآة المعلقة على الحائط في وسط ديكور يشبه بوابة أحد العوالم السحرية بألوانه الزاهية المبهجة وقطع الفرش الموجودة على الأرض المرسوم عليها أشكال شخصيات كرتونية شهيرة مثل سندريلا ومازنجر، إلا أن الدولاب الذي فتحَته لا يشبه الغرفة، فالملابس التي تملؤه تختلف

تمامًا عن براءة ديكورات الغرفة، بما يحتويه من ملابس داخلية نسائية تتجدد دائمًا سواء بناء عن طلب الزبائن أو هداياهم أو حتى من باب التجديد؛ فسهر قد علّمتها هي والبنات أن سر جري الرجال وراءهم هو الزهق، قالت لها: «الرجالة بيزهقوا أكتر من العيال الصغيرة حتى لو عملتيلهم كل حاجة نسوانهم بيتكسفوا يعملوهالهم، لازم يبقى جايلك الديسكو وهو مش عارف هيشوفك إزاي المرة دي ولا هتلبسيله إيه، ومافيش مانع إنه يشوفك زي ما هو عايز بحتّة قميص شافه في محل وعجبه وشخشخ جيبه وجابهولك بس ساعتها تقعدي وانتي بتشرَّطي وتتأمّري».

تختار سوسن قطعتين من الملابس الداخلية السوداء المصنوعتين من الدانتيل وتُخفِي صندوقا أسود يشبه صناديق المجوهرات صغير الحجم وسط ستيال معلَّق داخل الدولاب، لا يمكن أن يلاحَظ الصندوق بسهولة. وتقف تنظر إلى نفسها بهمٍّ في المرآة حتى تقع عيناها على صورها المعلقة على الحائط، صور لها منذ طفولتها حتى العشرينيات من عمرها جميع الصور موضوعة في براويز سوداء، يبدو من شكلها أنها كان لها شركاء آخرون في

الصور إلا أنها قصَّت الصور وأبقت على الأجزاء التي تظهر فيها منفردة. كل الصور معلقة حول برواز كبير لشهادة جامعية من كلية الآداب قسم التاريخ بتقدير جيد جدًّا لصاحبتها سوسن حجازي مصطفى عليوة. تقوم بتعديل وضعها وسط البراويز وتنظر إليها بفخر لثوانٍ، إلا أن نظرتها إلى نفسها في المرآة بالملابس الداخلية التي تمسكها في يدها تغيِّر من نظرة الفخر تلك فتتحول إلى حزن غريب وتخرج.

Scanned by CamScanner

8

لم تكن سوسن تعلم أن ما تواجهه حقيقي، والبخار الذي يسببه الماء الساخن الذي يتساقط على جسدها في الحمام وهي مستمتعة به لم يكن الحاجز الوحيد الذي يحجب عنها رؤية الصورة كاملة، رؤية باقي أجزائها في هذا الكون.

لم تكن ترى عمرو فاضل وهو يسعى في غرفته المطلَّة على النيل وهو ينام عاري الجسد على سريره وسط المانيكانات التي يستخدمها لوضع تصميماته عليها حتى يراها ويعدلها قبل أن يرتديها المشاهير والبرد يكاد يفتك

به مع الهواء الذي يدخل من الشباك المفتوح، والمطر والرعد الذي يزيد المشهد رعبًا.

لم تكن ترى فتحية وهي تحاول أن تبحث في ملابس أمجد مصطفى عن أي نقود تأخذها قبل أن يستيقظ من حالة الجمود التي دخلها بسبب المخدر الذي وضعته له.

لم تكن ترى والدة جهاد وهي تقف على سطح منزلها الممتلئ بالكراكيب والطيور المختلفة التي تربِّيها وتمسك في يدها نصف علبة سمن صفيح فارغة وبداخله أخشاب محترقة تضع عليها بخورًا وهي تمسك في يدها عروسة ورقيَّة تغرس في كل جزء منها دبوسًا طويلًا، تمسك بها وهي تُتَمْتِم بكلمات غير واضحة بعزم وحماس لا توقِفه الأمطار التي تنهمر من السماء.

لم تكن تسمع الدكتور يحيى وهو يقف مع التمرجي إسماعيل خارج الغرفة التي ينام فيها مروان وصوت شخيره يملأ المكان ويحيى يتحدث بصوت منخفض مع إسماعيل: «لمَّا يفوق حاول تخلِّيه يهرب».

لم تكن ترى ملامح إسماعيل المستغرِبة والمنكسرة؛

ففي حين أنه يرى أن مروان ما زال يحتاج إلى العلاج إلا أنه سوف ينفِّذ أمر يحيى مهما كانت مشاعره، لم تستمع إلى يحيى وهو يقول: «الفلوس اللي سابوهاله اللي جابوه هنا خلصت من أسبوع وتليفوناتهم مقفولة.. خلّيه يهرب واعمل نفسك هتمسكه وسيب الكاميرات تصوَّرك عشان نعمل محضر بكل ده الصبح ونخْلي مسؤوليتنا. عالم غريبة فاكرينّا فاتحين المستشفى سبيل».

لم تكن ترى بقايا الطعام الموضوعة على مكتب محمد وشاشة الكمبيوتر المفتوحة أمامه على تحقيق صحفي عن تفاصيل غسيل الأموال في مصر.

لم تكن ترى شيدر وهو ينظر إليها من شبَّاك المَنْور بعين واحدة مضيئة وهو يمسح بلسانه شاربه وفمه وينتفض من البرد وعلامات الجرح الغائر على وجهه وعينه المصفَّاة التي ظهرت باقترابه من زجاج شبَّاك الحمَّام بوجهه الصغير وأنفاسه الساخنة التي تنطبع على الزجاج... كل هذا لم تلاحظه سوسن.

كانت تترك الماء الساخن يأخذ جروح روحها معه إلى الصرف قبل أن يأخذ أوساخ جسدها، كانت تحاول

ففي حين أنه يرى أن مروان ما زال يحتاج إلى العلاج إلا أنه سوف ينفِّذ أمر يحيى مهما كانت مشاعره، لم تستمع إلى يحيى وهو يقول: «الفلوس اللي سابوهاله اللي جابوه هنا خلصت من أسبوع وتليفوناتهم مقفولة.. خلّيه يهرب واعمل نفسك هتمسكه وسيب الكاميرات تصوَّرك عشان نعمل محضر بكل ده الصبح ونخْلي مسؤوليتنا. عالم غريبة فاكرينّا فاتحين المستشفى سبيل».

لم تكن ترى بقايا الطعام الموضوعة على مكتب محمد وشاشة الكمبيوتر المفتوحة أمامه على تحقيق صحفي عن تفاصيل غسيل الأموال في مصر.

لم تكن ترى شيدر وهو ينظر إليها من شبَّاك المَنْور بعين واحدة مضيئة وهو يمسح بلسانه شاربه وفمه وينتفض من البرد وعلامات الجرح الغائر على وجهه وعينه المصفَّاة التي ظهرت باقترابه من زجاج شبَّاك الحمَّام بوجهه الصغير وأنفاسه الساخنة التي تنطبع على الزجاج... كل هذا لم تلاحظه سوسن.

كانت تترك الماء الساخن يأخذ جروح روحها معه إلى الصرف قبل أن يأخذ أوساخ جسدها، كانت تحاول

التخلص من كل توتراتها، كانت تشعر بهذا الدفء يتخلل مسامها، إلا أن هناك شيئا شعرت به، هناك مَن يشاهدها ينظر إليها، هذا الشعور الذي تواجهه في بعض الأحيان شعور أن هناك مَن يراقبها في لحظات لا تعتمد على المكان. كلما حاولت الغوص في روحها وذكرياتها شعرت بهذا الإحساس لا تفهم السر إلا أنها تشعر بهذا الآن، تشعر به يقف عند الزجاج، تحاول أن تلتفت إلا أن التردد يمنعها. يقف شيدر هناك كأنه ينظر إليها مبتسمًا، هذا القط الإفريقي يبتسم بالفعل ولكن النوم يداعب عينيه فيغمضهما. عندما تنظر هي إلى مكانه يكون قد اختفى إلا أنها فقدت إحساسها بالأمان فتقرر أن تخرج من تحت الماء وترتدي ملابسها متوجهة إلى الخارج.

9

لم يختلف يوم سوسن كثيرًا عن كل يوم مرَّت به طول السنوات الخمس الأخيرة إلا أن عملها في الدعارة أصبح الآن عملًا منظمًا؛ فـ«سهر» قد اختارتها هي وأخريات منذ أكثر من ثلاث سنوات ليكنَّ بناتها. نفس الكلمة تقولها «سهر» لمن في العمارة التي يسكنون فيها أو للعاملين في الديسكوهات التي انتشرت في منطقة المريوطية في الفترة الأخيرة إلا أن كل منهم يأخذها بمعنى يختلف عن الآخر تمامًا؛ ففي العمارة شقة أم «سهر» مثال لشقة الأم المحافظة التي تعيش بصحبة أربع بنات لها بعد أن توفي زوجها

وهي التي تعولهن، لا يراهن السكان كثيرًا لأن موعد عودتهن يصادف غالبًا أن أغلب سكان العمارة يكونون في أشغالهم والأطفال في المدارس، وعندما ينزلن في العاشرة مساءً لا يتابع سعيد البواب عودتهن من عدمها فهو لا يركز مع الست «سهر» لأنها تعطيه ضعف ما يعطيه أي ساكن آخر في تلك العمارة، وبالتأكيد إن كانت تستخدم الشقة في أي أعمال خارجة كان سيعرف على طول، ففي آخر مرة سكنت سيدة سيئة السمعة في العمارة اختلفت هي وأحد الزبائن على عدد مرات انتشائه وعلى الحساب فهي تصرّ على أنه انتشى أربع مرات وهو يقسم أنها ثلاثًا فقط وأن الرابعة كانت توابع للثالثة ولكنها تأخرت عض الوقت... المهم أن السكان طردوا الاثنين في نتصف الليل بملابسهما الداخلية وألقوا للسيدة بعفشها ن الشبَّاك، ولم يتكرر الأمر مرة أخرى؛ فالعمارة مكان حترم لن تقربه أي عاهرة أو «ركوبة» كما يحب سعيد أن طلق عليهن، لأن العمارة خلاص «اتشمّت» ولا يمكن جي حد تاني يحاول يعيش هنا.

لذا فسوسن وأمها الصورية وباقي البنات يلتزمن

بشروط «سهر» وتعليماتها بالحرف؛ لا ضحكات رقيعة، لا محاولات لاصطياد زبائن من العمارة أو محيطها، لا تعامُل مع البواب بأي شكل، وأخيرًا وليس آخرًا استحالة نشر ملابسهن الداخلية على البلكونة الخارجية مهما حدث أو لأي سبب.

في تمام الحادية عشرة أو قبل هذا الموعد بساعة لا بعده تنزل الخمسة متوجهات إلى «ديسكوتك»، تكون «سهر» قد اتفقت مع ناضورجي من العاملين فيه على أنهم سيحصدون صالته اليومو أو كما يقال «هنشيل الغلّة النهارده»، وهنا يكون على البنات الأربع الحصول على إيراد يكفي سداد حق هذا الاتفاق مع الناضورجي، فهذا سيعني أنهن سيحصلن على ما يتمنين من الرجال أو السيدات حسب اليوم والطلب، وأن الناضورجي سوف يمنع الريكلامات الخاصة بالـ«ديكسوتك» من العمل على زبون ما إلا بعد أن توافق «سهر» على أن يحصل منها على مبلغ يعوِّض على الديسكو هذا التوقُّف. في البداية لم تفهم البنات سر هذا التفكير من «سهر» خصوصًا أن هذا يعني تكفلهم في بعض الأحيان بدفع كل إيراد اليوم

للديسكو في الأيام التي تحدث فيها نفحات من رجل أعمال كبير أو شاب خليجي متوسط الحال جاء من بلده إلى هنا ليثبت أنه لا يقل شأنًا عن الأمراء الذين يقررون السفر إلى الدول الأوروبية، ويحاول إخفاء أنه سائح متوسط الحال.

اليوم الخميس أفضل الأيام لهن؛ ففي نهاية الأسبوع يظهر النوع المفضل من الزبائن، أزواج حديثو الارتباط لم يجدوا في الزواج ما كانوا يتمنونه من علاقة جنسية تشبه الأفلام التي يشاهدونها، وهنا يَكُنَّ بانتظارهم، مواصفاتهم معروفة؛ شاب في غاية التأنق والكلاسيكية «كأنه موظف في بنك» يظهر أمامهم مترددًا يدخل الديسكو ويَظهر قلقه من البداية، يحاول أن يخفيَه بأن يشرب بيرة أو أي مشروب كحلّي سريعًا، كلهم يتشابهون في تلك المواصفات والأهم لهن من كل هذا أنه يتحرك بأقل إشارة منهن، وفي أقل من خمس دقائق يكون الزبون قد توجه إلى الحمام، وفي نصف هذا الوقت يكون قد حصل على مراده وخرج من الديسكو.

استطاعت سوسن في إحدى الليالي أن تقضي على ١٠

منهم في أقل من ثلاث ساعات، وزغردت «سهر» لها في تلك الليلة كأنها أم تزغرد بمنتهى الفرحة في يوم صباحية ابنتها البكر.

بمجرد وصول الخمسة إلى المريوطية كان الناضورجي في الانتظار في الخارج. تم الأمر سريعًا، السيارة في جراش إحدى العمائر المتفق مع صاحبه من البداية لأن السيارات التي ستجيء إلى الديسكو سوف تلفت انتباه الكثيرين وقد تسبب مشكلات. وفي ثوانٍ قليلة كان الخمسة يعبرن الباب الأمامي لأحد مطاعم المشويات عاديَّة الشكل داخلات إلى باب خلفي موصِّل إلى الديسكو... عالم آخر، دور كامل معزول تمامًا عن الخارج، الحوائط المعزولة تمنع تسرُّب الأصوات إلى الخارج، لحظات ويكون الخمسة بملابس تختلف كثيرًا عن التى دخلن بها، وتحديدًا هي ملابس أقل مما دخلن بها، لم يستبدلوا ملابسهن، وإنما وضعن بعضًا مما يلبسنه في شنطة كبيرة بصحبة «سهر» لتظهر جيباتهم القصيرة وبلوزاتهم فاقعة الألوان وصدورهم اللامعة.

التعامل دائمًا معروف؛ الريكلامات يتراجعن ويتأخرن

في تقديم الطلبات حتى تفرز «سهر» بعينيها الموجودين في المكان، وتشير لبناتها إلى الزبائن المرغوب فيهم، وبعد تحركهم للصيد يكمل الريكلامات العمل. بعد نظرات مفهومة بين سوسن و«سهر» اختارت سوسن رجلا أربعينيًا بسوالف بيضاء يجلس على البار مباشرة، اقتربت منه ولكنها ارتجفت عندما رأت عينيه، لا تعرف ماذا يحدث لها هذا اليوم؛ في البداية شعورها في الحمام، وشعورها الذي تشعر به الآن، فهي متأكدة بنسبة ١٠٠٪ أنها قد قابلته من قبل، لا تعلم لِمَ جاءها هذا الشعور، لا تعرف سر الفتور الذي نشب بينها وبينه، أحيانًا تقابل رجالًا لا تعرف لماذا عندما تقترب منهم لا تشعر بالإثارة نحوهم... هناك شيء خاطئ، شيء لا تفهمه.

تهمّ بأن تغادر مكانها إلا أنه يفاجئها برقم قلَّما يدفعه أحدهم لها: «هادِّيكي ٥ آلاف جنيه في الليلة»! لم تتردد؛ فهذا الرقم لا يتكرر كثيرًا، «الليلة كلها..؟ لا قليل..»، تحاول أن توازن انفعالها وهي تردّ عليه حتى لا ينفضح أمرها ويشعر بلهفتها على عرضه إلا أنه يُبدي خبرةً لم تكن تتوقعها: «لا هوّ كفاية الخمسة، ولو مش عاجبك

في ألف واحدة ممكن تيجي بعُشر المبلغ ده، بس أنا كيفي فيكي وكيفي أدفع فيكي الفلوس دي». يتركها ويتوجه إلى الخارج منهيًا كلامه، تاركها بين حيرة الرفض والقبول، إلا أنها بعد تردُّد لثوانٍ من موقفه تقرر أن تذهب معه وهي تشير إلى «سهر» بالمبلغ فتمسك «سهر» بصدرها من الفرحة وهي تتراقص مع نغمات الدي جيه وترسل إليها قُبلة في الهواء مشجعة إياها على أخذ تليفونه حتى تكون سوسن «ركوبته» الوحيدة في هذا الديسكو، فتجري سوسن إلى الخارج وراءه وهي تأخذ جاكيتها احتماءً من البرد.

10

في الخارج كان الشاب ينطلق مسرعًا بسيارة سبور فارهة بيضاء اللون وبجانبه سوسن تجلس منتشية بالهواء البارد الذي يداعب شعرها المصبوغ، تحاول أن تفكّ أزرار بنطلونه في السيارة أملًا في أن تستطيع إرضاءه بشكل يجعله يضيف إلى المبلغ المتفق عليه مبلغا آخر، إلا أنه ينظر إليها بقرف واشمئزاز: «ابعدي إيدك عني، من اللحظة دي انتي عروسة بلاستيك هتتحركي زي ما أقولك وأحركك».

تفاجئها صورته الموضوعة على بانر كبير معلّق بجانب

محور صفط اللبن (الطريق المؤدِّي إلى جامعة القاهرة)
بانر يقف هو فيه مبتسمًا ابتسامة ساطعة، وفي خلفيته
مدينة خضراء كبيرة وبحيرات صناعية ضخمة واسمها
المضيء «جرين كايرو نايل» من شركات وائل السمري
للمقاولات. تنظر إليه وإلى الصورة عدة مرات محاولة
التيقن منه ومن الصورة، وتصرخ فيه أنها تذكّرته في
إعلاناته التليفزيونية الكثيرة، فهو صاحب تلك الشركات
التي ظهرت مؤخرًا والمتخصصة في المقاولات: «أنا
افتكرتك.. إنت وائل صح؟ إنت وائل السمري رجل
الأعمال المشهور؟»، إلا أنه لا يردّ عليها ولكنه ينظر أمامه
بتحدٍّ وهو يبتسم ابتسامة بسيطة ولكنها تعبر عن حالة
الفخر والزهو بالنفس التي تملَّكته.

Scanned by CamScanner

11

كانت بريشكا في هذا الوقت قد ارتدت ملابسها كاملة وأخرجت الواقي الذكري من شنطتها وبصقت في داخله وألقت به بجانب عمرو فاضل. وراجعت الصور الموجودة على موبايلها واحدة تلو الأخرى، صور لشقة عمرو فاضل بكل تفاصيلها؛ كل الشبابيك والأركان، حتى شبابيك المنور صوّرتها وصوّرت الأماكن المؤدّية إليها، صوّرت أبواب الشقة وتفاصيل الغرف وصوّرت مفاتيح عمرو والأشياء التي يخفيها في الأدراج والكوالين الخاصة بكل شيء: الأبواب والأدراج، حتى إنها صوّرت كوالين أدراج

للطبخ، ونفّذت كل ما طلب منها بالتفصيل، وتأكدت أن كل شيء، ملكها الآن. انتهت من كل شيء، وقررت أن تترك الشقة كما هي. ألقت نظرة أخيرة على عمرو وتركته ورحلت.

12

لم يكن يدري والد جهاد بكل ما تمر به أمها منفردة، لم يسمع صرخات جهاد وأنينها وهي نائمة أو أي شيء عن المبالغ المالية التي تصل لجهاد من مجهول أو سر تعيينه في شركة كبيرة كضابط أمن على الرغم من طرده من وظيفته الحكومية لأن نظره لم يعد جيدًا، ولم يسأل عن سر هذا التعيين، اقتنع أن هناك مَن يعرفه ويعرف إمكاناته الفذَّة وذكاءه الخارق في حل ألغاز الجرائم الموجودة في الأفلام التي يشاهدها دائمًا في سايبر «إيه إتش» الموجود على ناصية الشارع... بالتأكيد هناك مَن يتابعه ويعرف فطنته،

وهو مَن أرسل إليه هذه الوظيفة. ولم تحاول الأم توضيح الأمر له، فهي حريصة دائمًا على أن لا يعرف أحد أي شيء عما تمر به جهاد فهي لا تثق بأي شخص من الممكن أن يفضح سر ابنتها، وبالتأكيد آخِر من قد تثق بهم هو زوجها أو أحد أبنائها، فالرجال في وجهة نظرها لا يصلحون لشيء سوى الرغي والعنطظة الفارغة بأشياء لا يملكونها ولا يستطيعون فعلها، هم فقط للرغي لا لتحمُّل المسؤولية ولا لأي شيء آخر. الآن هي تعلم أنها منفردةً مَن يجب عليها أن تحل أزمة ابنتها، هي وحيدها مَن يجب عليها أن تخلّص ابنتها من هذا الشر دون حتى أن تخبر جهاد بشيء؛ فابنتها -بعيدًا عن أي شيء آخر- ما زالت صغيرة، ولن تتحمل أن تعرف السر الذي أخبرتها به أم عزة، تلك السيدة المبروكة الواصلة في العوالم السُّفلية، التي أخبرتها بأن صاحبة «الأَثَر» الذي ذهبت إليها به ممسوسة من أحد ملوك الجان وأنه لن يتركها إلا بعد عناء ولكن اليأس لا يعرف مكانًا في حياة أم عزة، وأكدت لها أن صاحبة «الأَثَر» سوف تصبح «زي الفل» لو فقط اتبعت خطوات العلاج التي ستقولها لها. لم تلحّ عليها أم عزة في معرفة صاحبة ذلك «الأَثَر»، وعلى الرغم

من هذا كله فأم جهاد تعرف بشكل مؤكد أن أم عزة عارفة لمن هذا «الأَثَر» ومَن صاحبته ولكنها لم تخبرها بذلك عشان مش عايزة تحرجها.

لم تعرف أم جهاد أن «شاكوش» بلطجي المنطقة وأحد كبار مخبريها، هو عين أم عزة في الشوارع القريبة، لم تعرف أنها بمجرد أن ذهبت إليها وقبل أن تخرج من عندها كانت أم عزة قد اتفقت مع «شاكوش» على اتباعها، لم ترَ صبيانه وهم يصوِّرونها ويسألون عنها وعن تفاصيل حياتها وعن كل شيء يخصها، لم تعرف أن المعلومات التي وصلت لأم عزة عنها وعن أسرتها أكثر بكثير مما قد تعرفه هي عنهم؛ معلومات عن ابنتها المنهَكة دائمًا وعن زوجها المريض المرفوت وعن نزواته في سايبر «إيه إتش» وسهراته هناك بصحبة المراهقين يشاهد كلٌّ منهم فيلمًا جنسيًّا طوال الليل بعد ساعات العمل الرسمية وسط أجواء الشتاء قارس البرد، وبعد أن ينتهي شيفت «نهى» التي تترك السايبر في العاشرة مساء وترحل وتتركه لـ«طارق» صاحب المكان الذي يُنزِل باب المحل ويضاعف ثمن ساعات الجلوس على الأجهزة مقابل السماح بمشاهدة المواقع الإباحية وجلسات شرب الحشيش الذي يتكفل

من هذا كله فأم جهاد تعرف بشكل مؤكد أن أم عزة عارفة لمن هذا «الأَثَر» ومَن صاحبته ولكنها لم تخبرها بذلك عشان مش عايزة تحرجها.

لم تعرف أم جهاد أن «شاكوش» بلطجي المنطقة وأحد كبار مخبريها، هو عين أم عزة في الشوارع القريبة، لم تعرف أنها بمجرد أن ذهبت إليها وقبل أن تخرج من عندها كانت أم عزة قد اتفقت مع «شاكوش» على اتباعها، لم ترَ صبيانه وهم يصوِّرونها ويسألون عنها وعن تفاصيل حياتها وعن كل شيء يخصها، لم تعرف أن المعلومات التي وصلت لأم عزة عنها وعن أسرتها أكثر بكثير مما قد تعرفه هي عنهم؛ معلومات عن ابنتها المنهَكة دائمًا وعن زوجها المريض المرفوت وعن نزواته في سايبر «إيه إتش» وسهراته هناك بصحبة المراهقين يشاهد كلٌّ منهم فيلمًا جنسيًا طوال الليل بعد ساعات العمل الرسمية وسط أجواء الشتاء قارس البرد، وبعد أن ينتهي شيفت «نهى» التي تترك السايبر في العاشرة مساء وترحل وتتركه لـ«طارق» صاحب المكان الذي يُنزِل باب المحل ويضاعف ثمن ساعات الجلوس على الأجهزة مقابل السماح بمشاهدة المواقع الإباحية وجلسات شرب الحشيش الذي يتكفل

بتوفيره «شاكوش» أيضًا أو أحد صبيانه، وهو المقابل الذي يدفعه طارق مقابل سكوت «شاكوش» عن تلك الأعمال.

اقتنعت أم جهاد بوصول أم عزة من لقائهما الثاني التي أخبرتها فيه بأسرار كثيرة عن صاحبة «الأَثَر» وعن أهلها وعما يحدث معها. لم تصدقها وهي تخبرها عن أسرار زوجها معها في السرير وابتعاده عنها في الفترة الأخيرة، ولم تهتم أن تتابع تلك التفاصيل، المهمّ أن حل مشكلة جهاد عند معارف تلك السيدة في العالم الآخر وأن رُوح ابنتها وشرفها سوف يتركه هذا الجني دون أن يمسّه مقابل ما ستفعله أم عزة، أو حتى مقابل أن يركبها هذا الجن بديلًا عن ابنتها؛ فقد شبعت هي من تلك الحياة ولا يهمها غير جهاد. جهاد التي تململت الآن بسبب نقاط المياه التي تتساقط منها على وجهها والتي سبَّبها المطر الذي كانت تقف فيه لكنها مسحت عنها هذه المياه وقبَّلتها وتركتْها وانسحبت من الغرفة.

بتوفيره «شاكوش» أيضًا أو أحد صبيانه، وهو المقابل الذي يدفعه طارق مقابل سكوت «شاكوش» عن تلك الأعمال.

اقتنعت أم جهاد بوصول أم عزة من لقائهما الثاني التي أخبرتها فيه بأسرار كثيرة عن صاحبة «الأَثَر» وعن أهلها وعما يحدث معها. لم تصدقها وهي تخبرها عن أسرار زوجها معها في السرير وابتعاده عنها في الفترة الأخيرة، ولم تهتم أن تتابع تلك التفاصيل، المهمّ أن حل مشكلة جهاد عند معارف تلك السيدة في العالم الآخر وأن رُوح ابنتها وشرفها سوف يتركه هذا الجني دون أن يمسّه مقابل ما ستفعله أم عزة، أو حتى مقابل أن يركبها هذا الجن بديلًا عن ابنتها؛ فقد شبعت هي من تلك الحياة ولا يهمها غير جهاد. جهاد التي تململت الآن بسبب نقاط المياه التي تتساقط منها على وجهها والتي سبَّبها المطر الذي كانت تقف فيه لكنها مسحت عنها هذه المياه وقبّلتها وتركتْها وانسحبت من الغرفة.

13

تَعْتَد سوسن هذا الكمّ من المشروبات الكحلّية
ما يهمها الآن أن تُرضِي وائل بأي شكل، أن
ه، أن تفوق توقعاته؛ فليس من السهل أن تجد
أعمال مثله كل يوم، وتحديدًا في شغلانة كشغلانتها
فيها منه وعدًا بأن تقابله مرتين فقط في الأسبوع،
ان فقط إيرادهما الشهري سيساوي الإيراد الذي
قه في المواسم مقابل أن تعاشر مئة رجل. الآن كل ما
ول أن تحققه هو رضا هذا الوائل... ساعات وستنتهي
يلة الأولى التي ستحدِّد موقفه منها. تشرب الكؤوس

الكأس تلو الآخر، البار بكل من فيه يتابع رجل الأعمال وائل السمري الرزين الخَجول وهو يداعب تلك السيدة دون أن يخجل من شيء وهو في حالة سُكْر بَيِّن. الجميع يعلم أنه لن يتمكن أحد من أن يطلب منه أن يهدأ أو أن يخفِّض صوته، فعلى الرغم من أن هذا الفندق الموجود على كورنيش الزمالك هو أحد أهم الفنادق في مصر وأرقاها ولا يهتم إلا بالنزلاء والشكل اللائق للمكان، فإن شروط المكان ولوائحه لن تُطبَّق بالتأكيد على نجم عالم الأعمال الجديد فلا يستبعد الموجودون أن يكون وائل أحد أصحاب الفندق والمساهمين فيه؛ فمنذ ظهوره في السنوات الأخيرة وأخبار مشاركته في المشروعات الجديدة أو المنشأة مسبقًا شبه يومية، وإن كان هناك العديد ممن يحاولون إثبات أن تلك الأموال التي يتحكم فيها وائل هي في الحقيقة أموال غير نظيفة وهو المسؤول عن غسلها في هذا الجزء من العالم وأنه في الحقيقة لا يملك كل تلك الأموال. وهناك آخرون يحاولون إثبات أنه إحدى الأذرع السياسية التي امتدت داخل البلاد في السنوات الأخيرة، وإن كان ليس صاحب أي نشاط سياسي واضح إلا أنه يدعم الكثير من المؤسسات الخيرية

ومؤسسات المجتمع المدني التي تسربت في مصر في الفترة الأخيرة.

ازداد صخب وائل في المكان وتحرَّج منه الموجودون في المكان، لكن سلطته تبدو واضحة في سكوتهم... يحاول أن يمسك بِنَهْدَيْ سوسن إلا أنها تصرخ بضحكة رقيعة ساكرة وتحاول الابتعاد عنه طالبةً منه أن يذهبا إلى غرفته أو جناحه أو حتى يخرجا إلى سيارته في الجراج، فعلى ما يبدو أنه لن يعترض أي أحد على ما يفعله... يتسند عليها ويصرخ في أحد العاملين في البار: «إنت إنت يا زفت.. عارف الجناح بتاعي»، يتلجلج الرجل قليلًا إلا أنه يجيبه أخيرًا أن كل العاملين في المكان يعرفون جناحه، فيصرخ فيه طالبًا أن يرشدهما إلى الغرفة لأنه لا يتذكر مكانها. يمشي هو وسوسن وراء هذا العامل وهو يمسك بيده مؤخرة سوسن متوجهَين إلى الخارج. لم تلحظ سوسن أحد العاملين فى المطعم الذي كان يقف في أحد أركان المطعم وهو يُخرج موبايله ويحاول تصوير وائل وسوسن دون أن يلاحظ أحد من الموجودين ما يفعله. يتمكن في النهاية من أن يأخذ لهما عددًا من الصور، بل أن يختفي من

ومؤسسات المجتمع المدني التي تسربت في مصر في الفترة الأخيرة.

ازداد صخب وائل في المكان وتحرَّج منه الموجودون في المكان، لكن سلطته تبدو واضحة في سكوتهم... يحاول أن يمسك بِنَهْدَيْ سوسن إلا أنها تصرخ بضحكة رقيعة ساكرة وتحاول الابتعاد عنه طالبةً منه أن يذهبا إلى غرفته أو جناحه أو حتى يخرجا إلى سيارته في الجراج، فعلى ما يبدو أنه لن يعترض أي أحد على ما يفعله... يتسند عليها ويصرخ في أحد العاملين في البار: «إنت إنت يا زفت.. عارف الجناح بتاعي»، يتلجلج الرجل قليلًا إلا أنه يجيبه أخيرًا أن كل العاملين في المكان يعرفون جناحه، فيصرخ فيه طالبًا أن يرشدهما إلى الغرفة لأنه لا يتذكر مكانها. يمشي هو وسوسن وراء هذا العامل وهو يمسك بيده مؤخرة سوسن متوجهَين إلى الخارج. لم تلحظ سوسن أحد العاملين فى المطعم الذي كان يقف في أحد أركان المطعم وهو يُخرج موبايله ويحاول تصوير وائل وسوسن دون أن يلاحظ أحد من الموجودين ما يفعله. يتمكن في النهاية من أن يأخذ لهما عددًا من الصور، بل أن يختفي من

القاعدة التي يعود إليها معظم الشارحين من تأثير العلم
عليهم المسيطرة على أعمالهم أو المشهورين بما يشبه حديث
حتى عن وائل وما بعده.

14

يدفع وائل سوسن إلى الغرفة ويغلق الباب في وجه العامل الذي قام بتوصيله دون أن يكلِّف نفسه عناء الشكر، يدفعها في أحد الأركان بعد شَدّ فستانها من أحد أطرافه لتقف عارية إلا من ملابسها الداخلية وفي الخارج العامل يستمع إلى صرخات سوسن تاركًا لخياله الوصول لحقيقة ما يحصل فى الداخل.

ولكن في الداخل كان وائل قد هدأ، كانت ثورته قد خمدت، وحالة الزَّوَغان والسُّكْر التي كانت تملأ عينيه لم تَعُد موجودة كأنه لم يشرب قطرة واحدة من الخمر،

تستغربه سوسن في البداية ولكنها تحاول أن تقترب منه إلا أنه ينظر إليها نفس نظرة الاشمئزاز التي ظهرت على وجهه عندما حاولت أن تفك عنه أزرار بنطلونه في السيارة. لم تفهم ما يحدث، لم تفهم لِمَ يعاملها هكذا، ولا سر مجيئه بها إلى هنا كأنه يمثِّل على أحد دورًا ما.

لم تطلب منه أي شيء غير أن تفهم، فلم يُجِبْها إلا بطلب واحد وهو أن كل ما عليها أن تفعله أن تنام وفي الصباح ستجد فستانًا آخر مقاسها لترحل به، على أن تترك ملابسها هنا في الغرفة كأنها كانت تبيت ليلتها مع فحل أو حصان لم يتركها طوال الليل. لم يحتَج أن يؤكد لها أن ما حدث يجب أن لا يعرف به أي مخلوق، فهي لا تريد أي مشكلات وتحديدًا مع شخصية في حجمه، وبالتأكيد لن ترفض أن تحضر كل ليلة إلى هنا لتمثل دور العاهرة التي لا تستطيع الاستغناء عنه، يكفيها أنها ستقبض نقودها وسترتدي ملابس جديدة من أفخم المحلات. لا تعرف لماذا تذكَّرَت هذا الخاطر مرة أخرى، إنه جزء من الأحلام التي تراودها دائمًا، تتذكر أشياء غريبة لا تعرف هل فعلًا هي تتذكرها أم تتخيلها، ترى عمرو فاضل

ووائل السمري في غرفة واحدة وعلى سرير واحد ولكنها تبتسم ابتسامة مَن يشكّ في رأسه، ابتسامة مَن يظن أن الخمر قد لعبت برأسه ووصلت به إلى نهاية الطريق... تبتسم وتقرر أن تستمتع بأول ليلة لها منذ سنوات، أول ليلة دون إنهاك المعاشرة طوال الليل، أول ليلة تنامها فقط لأنها تريد أن تنام أول ليلة منذ سنوات ستحتضن السرير مستمتعة بشهوة النوم نفسها لا رغبة في راحة من الإنهاك.

تنام جيدا، تنام مبتسمة بحالتها وبالذكرى التي جاءت في بالها منذ لحظات، ولكنها تنام.

تنام ووائل قد وقف في شباك غرفته المطلّ على كورنيش الزمالك المظلم وهو يتحدث في موبايله: أكيد الواد اللي بيبعتلك الصور ده صوَّرني.. عايز العدد الأسبوعي ده، كله عن نزواتي.. الصبح هاسيب الأوضة.. خلّيه يدخل يصوَّر الأوضة والبت كمان.. الملف كله عن نزواتي يا عيسوي. إوعى يعرف إني عارف حاجة خلّيه يتعامل عادي زي ما بيتعامل معاك كل مرة. و.. آه، طبعا هييجي مدير التسويق عندي يمضي معاك قبل العدد عشان

تطمِّن وعايزك تسخَّن أصحابك في الجرايد التانية بقى.. سرَّب إن أنا خُفت واشتريت سكوتك بالإعلانات.. نعم يا اخويا سُمعتك؟! إنت هتمثِّل! ما كل الناس عارفة مانشيتات جرنال «نهار بكرة» عاملة ازّاي وإنها عشان الإعلانات واللي يدفع أكتر.. إنت هتستعبط ياله...؟! سلام.

أخيرًا لا يعرف لماذا نظر إلى سوسن بتلك النظرة الحانية، ولماذا شعر بتعاطف معها وهو يسمع صوت شخيرها القوي كأنها لم تَنَم منذ سنوات، ولكنه قرر أن يترك لها المبلغ الذي اتفق معها عليه، وأضاف إليه ألفين آخرين، وأرسل رسالة إلى سكرتيرته بأن تحضر فستانًا يشبه مقاسها وأن تتركه له في الريسيبشن في الصباح الباكر وقرر أن يأخذ طبق الفاكهة ويجلس به أمام الشاشة الـ«إل سي دي» وجلس ليشاهد أحد الأفلام وهو يأكل الفاكهة كما يحب بعد أن يرسم بالسكين عليها أشياء وأشكالا تجعله يهدأ ويزول توتره.

15

كان «شيدر» ينام في مكانه المحبب أسفل مكنة الإسبرسّو والكابيتشينو؛ فهذا هو المكان الوحيد الذي يحتفظ بالدفء طوال الليل. بمجرد أن سمع أصوات الأبواب وطريقة فتحها العنيفة وقف ذيله الرصاصي اللون خوفًا من القادم. طريقة الفتح العنيفة عرف من خلالها أن القادم هو «بيبو».. يرتبك «شيدر» في المكان ويجري محاولًا الاختباء كأنه شخص يحاول اتخاذ قرار غائب عنه. عودة «بيبو» تلك أربكته جدًّا، فالكافيه مغلق منذ أكثر من ساعتين والساعة اقتربت من الرابعة صباحًا.. لماذا عاد هذا البيبو مرة أخرى؟ ولماذا بيبو

تحديدًا، فعلاقته معه ليست على ما يرام فهو من القلائل الذين يقومون بضربه دون أي سبب منذ مجيئه إلى القاهرة، تعامل معه أهلها على أنه قط بلدي مخلط النسب كأغلب القطط الضالة الموجودة في القاهرة التي تُولد نتيجة معاشرات ليلية بالقرب من مقالب القمامة إلا أنه يعرف نسبه، يعرف فصيلته الإفريقية الأرقى بين فصائل القطط، حكت له أمه عندما وُلد في واحة سيوة عن تاريخ فصيلتهم النقية، جرى معها وسط معابد ومقابر فراعنة موجودة منذ سنوات في الجبال، لم يتمكن أحدهم من الاقتراب منها بسبب فصيلته وأجداده الموجودين في تلك الأماكن منذ آلاف السنين. رأى تماثيل لهم في كل مكان لا يعرف لِمَ أخذته تلك السيدة وهو يستعدّ لموسم التزاوج وجاءت به إلى القاهرة منذ ست سنوات، وكيف تاه عنها وأصبح وحيدا في تلك الشوارع وسط هذا الكم من الحقد والجوع بين القطط؟

دخل نور طفيف من الباب الذي فتحه بيبو فظهرت معالم الكافيه بترابيزاته، لقلة العدد وألوانه البُنيّة لم يفتح بيبو النور وإنما توجه مباشرة إلى الدُّرْج الموجود به إيراد الساعات الأخيرة من الليل. آخر ما يتمناه شيدر الآن هو

انتباه بيبو الذي صرخ «شيدددددددددددددددددر».
ارتعب شيدر مرة أخرى ولكنه حاول أن يختبئ في أحد الأركان جيدًا. أضاء بيبو النور وبحث عنه فلم يجده، لم يرَ بيبو عينَي شيدر الزجاجيتين اللتين تتابعانه من الرَّف الأعلى بخوف وتحفز، في نفس الوقت لم يكن لدى بيبو وقت للبحث عن شيدر، مدّ يده في درج النقود وأخذ أغلب ما فيه وترك الباقي ورحل، وبمجرد أن أغلق الباب وراءه كان شيدر يغمض عينيه مطمئنًا يطير في الهواء على طبق من الأطباق التي كان يختبئ وراءها ويصل به إلى الأرض فينكسر ولكنه لا يعيره أي اهتمام، فقط يتوجه إلى أسفل مكنة الكابيتشينو.. ويناااام.

16

يستيقظ مروان في غرفته الخاصة في مستشفى المعادي للأمراض النفسية يفتح عينيه نصف فتحة محاولًا معرفة مكانه الذي أصبح فيه بعد ليلة من الصعق الكهربائي وحُقن المهدِّئات، لم يجد نفسه كما يحدث كل مرة مربوطًا في السرير أو يرتدي البدلة البيضاء المعكوسة، وجد نفسه فقط ينام في تيشيرت أبيض فعلًا وبنطلون جينز أزرق، وجد بجانب السرير كوتشي أبيض كالذي يرتديه مرتادو المستشفى ذوو المزاج النفسي السيئ الذين فقط يجيئون إلى هنا من أجل الراحة والذين كان يشاهدهم في حديقة المستشفى في الأيام التي كان يكذب على الدكاترة

الموجودين ويخبرهم بما يرغبون في سماعه عن أنه يعرف أن كل كلامه عن حياته الأخرى غير حقيقي، يخبرهم فقط بأنه قد اقتنع بأنه كان يحاول أن يلفت الانتباه فينظر بعضهم إلى بعض واثقين بأنفسهم، مؤكدين لبعضهم أن تفسيرهم صحيح من البداية وأنها محاولة للفت الانتباه فقط، وفي أيام قليلة يقتنعون أنه قد شُفِيَ بشكل كبير فيخرجونه من عنبر الحالات الخطرة إلى مبنى حالات الاستجمام وهناك يصطدم بتلك النوعية من البشر، تلك النوعية التي لو واجهت نصف ما يواجه أو تحديدًا لو فَهِمَت حقيقتها في هذا الكون لفضَّلت الانتحار من البداية، شخصيات كبرى مشكلاتها أنها لا تعرف فيمَ تنفق أموالها سوى أنها تجيء إلى مثل تلك الأماكن ليقوم عشرات من الممرضين والممرضات وقبلهم خيرة الأطباء بخدمتهم! رأى أحدهم يقرر كل نصف ساعة أن يتبول على نفسه لمجرد أن يترك نفسه للممرضات ليغيِّرن ملابسه. يعيش في وسطهم ساعات أو أيامًا ولكنهم يعيدونه إلى عنبر الحالات الخطرة مرة أخرى مع أول محاولة للهروب، والغريب أنهم لا يتعلمون من تكرار خطته ولا يملّ هو من المحاولة.

يرتدي مروان الكوتشي الأبيض ويقترب من الباب فيجده مفتوحًا، يتردد في البداية أن يفتحه إلا أنه يتخذ القرار، يخرج ببطء إلى الخارج منتظرا ظهور إسماعيل الذي لا يظهر ولكنه يقترب من الباب منطلقا إلى الحديقة الخلفية للمستشفى يبحث عن الكلاب الموجودة هناك فلا يجدها هناك صوت واحد يسمعه في المكان، صوت سكون لا يعرف كيف يسمعه، صوت هدوء غريب كأنه طنين لم يعتده في المكان، لا يفوِّت الفرصة ويتوجه إلى السور ويقفز عليه وقبل أن يخرج إلى الخارج يتردد مرة أخرى، هناك شيء بداخله يقول له إن هذه السهولة في الهرب غير طبيعية، يجلس للحظات أعلى السور ويسمع أول صوت منذ أن استيقظ، صوت آليّ، كأنه ترس يتحرك، ينظر إلى اتجاه هذا الصوت فيكتشف أنه صوت تحرُّك كاميرا المراقبة التي تتابعه الآن وتتابع تحركاته فيبتسم لها ابتسامته العريضة ويقفز من على السور. وهو لا يرى أن الدكتور يحيى وعم إسماعيل يقفان بالداخل في غرفة المراقبة يطمئنان أنه هرب بالفعل، لم يرَ تلك القشعريرة والانتفاضة التي سرت في جسد يحيى بعد أن رأى تلك الابتسامة المجنونة به ولم يسمِّه وهو يقول لهم أن يصنعوا

من هذا الفيديوهات «سي دي» ويسلموه للمحامي الذي سيحضر صباح باكر من أجل عمل محضر بالواقعة.

17

في شقة بسيطة بمساكن الضباط بمنطقة فيصل يدخل مروان دافعًا ببطء الباب الذي تكدست خلفه وعلى أرجائه الأتربة نظرا إلى قلة الاستعمال، يسعل ولكنه يحاول أن يهدِّئ من الصوت حتى لا يلفت النظر إليه خصوصًا أنه لم يظهر لسكان المنطقة منذ أكثر من ١٠ أشهر، لم يره قبلها أغلب جيرانه إلا مرة أو اثنتين على الأكثر، فتلك الشقة ما هي إلا شقة يستخدمها في شيئين فقط: العطّ أو الترتيب لفكرته التي قرر أن يقوم بها بعد أن اكتشف حقيقة ما يمر به من أمر في السنوات الأخيرة.

يدخل إلى إحدى الغرف فيستغرب أن بابها مفتوح ولكنه يكمل الدخول ظانًّا أنه قد نسي إغلاق هذا الباب في آخر مرة جاء فيها إلى تلك الشقة فأمه قد كلَّمته حينها صارخة، مؤكدة له أن والده مرض بشدة ولا تعرف كيف تتصرف واكتشف أنها دبَّرت هي وأبوه وسيدة أخرى لا يعرفها الإجراءات الخاصة بدخوله إلى المستشفى.

في الداخل وتحديدًا على الحائط الذي به باب الغرفة وعلى الباب من الداخل هناك خارطة كبيرة للقاهرة عليها خمس علامات باللون الأحمر بالإضافة إلى علامتين باللون الأصفر مكتوب أسفلهما «أنا الأولى» تشير إلى مكانه تمامًا الآن في فيصل والأخرى إلى مكان بمنطقة حدائق القبة. باقي العلامات بالأحمر أسفلها أرقام بالترتيب، كل رقم يوازي رقمًا موجودًا أعلى صورة من الصور المعلقة بجانب الخريطة أحدها لعمرو فاضل وأمجد مصطفى مقطوعة من الجرائد وصورة فوتوغرافية لسوسن تقف فيها بقميص نوم مستعرضة جسدها كالصور التي يحملها القوادون في البارات وشوارع المهندسين التي يتفقون من خلالها مع الزبائن حول الفتاة

التي يرغبون فيها، وإن كانت صورة سوسن تبدو قديمة بعض الشيء، قد مرَّ عليها ثلاث سنوات على أقل تقدير، بالإضافة إلى اسكتش مرسوم بالرصاص والجاف لجهاد، وصورة أخرى من الصور المنتشرة على الإنترنت لِقطّ يشبه «شيدر» وعلى عينه بالقلم الجاف علامة توضح مكان الجرح الموجود في وجهه.

يقف مروان لحظات أمام الصور ويتابعها بعينيه متذكرًا مواقف مرَّ بها. لا يعلم لماذا هذا الوقت تحديدًا تذكَّرهم جميعًا في طفولتهم؛ تذكَّر أمجد مصطفى وهو يجلس على مكتب والده الباشا ويراه وهو يُحتضَر بعدما قرر مجلس قيادة الثورة أن يأخذ كل أمواله منه. رأى «شيدر» والسيدة تأخذه من سيوة وهو ابن عام، وهروبه منها ثم بحثه عنها في محطة مصر حتى قراره بالذهاب إلى وسط البلد حتى وجد الكافيه الذي يعيش فيه الآن. تذكَّر عمرو فاضل وهو طفل صغير، وابتسم لأنه لم يتغير شكله كثيرًا عن الآن وشعر بدفء البيت الكرتوني الذي صنعه له فاضل، أبوه، في غرفة نومه وأوقات لعبه مع صديقيه القريبَيْن إليه على الإطلاق حتى الآن «مِنَّة وعلي» إلا أنه اشمأزَّ مرة أخرى

عندما تذكَّر كيف اكتشف الثلاثة معًا شهوتهم الجنسية وشكل العلاقة التي كانت بينهم هم الثلاثة والتي تسببت في أزمته التالية حتى الآن. تذكَّر نظرة جهاد وهي في المدرسة الثانوية وكيف كانت تحقد عليهم بسبب ما ترى فيهم من حياة ترف وكيف كانت تتعمد أن تجلس أكبر فترة ممكنة في حمام «شملا مول» بوسط البلد تتابع البنات وهن يتحدثن عن الملابس وعن علاقات حبهن وأحلامهن، وأحيانًا أخرى لكي تنام وتعيش مع أحد آخر ظنًّا منها أنها تحلم، حتى إنها في إحدى المرات وبعد أن نامت تصادف وجود عمرو فاضل في وسط البلد وجاء إلى المول وتهافتت البنات اللاتي كانت تغار منهن عليه إلا أنه رفضهن جميعًا ورحل، واستيقظت هي منتشية فَرِحةً بهذا على الرغم من أنها تأخرت حتى الليل على أمها، ولكن نشوة حلمها كَفَتْها هذا الأمر وجعلتها تتحمل كل ضرب أمها لها فى هذا اليوم. لم تعرف جهاد كالعادة أن كل ما حدث حقيقي، لم تفهم ما يحدث كالعادة واكتفت باقتناعها أنها عندما تنام تحلم بتلك الشخصيات. وكذلك عمرو لم يفهم لماذا قرر في هذا اليوم شراء رابطة عنق من هذا المول الردىء الذي لا يساوي أي شيء بالنسبة إلى الأماكن التي اعتاد أن يشتري منها

ملابسه وأقنع نفسه حينها أنه ذهب إلى هناك لكي يظل متابعًا لذوق الناس العاديين -كما يطلِق عليهم- ولم يفهم أن عقله الباطن ورغبة روحه التي هي رُوح جهاد والباقين في المجيء إلى المول في هذا الوقت تحديدًا هي التي قادته إلى ذلك حتى تشبع رغبتها في التكبر عليهم، ولم يتذكر عمرو فاضل في الأساس ما يحدث مع باقي أجساده، فقط اشترى رابطة العنق ورحل حتى إنه لا يتذكر إن كانت رابطة العنق هذه ما زالت عنده أم ألقاها في أقرب صندوق مهملات دون أن يلاحظ. تذكَّر سوسن في ليلتها الأخيرة في بيت أبيها أو تحديدًا بيت زوجة أبيها التي علَّمتها الدعارة منذ أن كانت في الثانوية العامة، وكيف قررت أن تترك البيت في نفس اليوم الذي حصلت فيه على ليسانس آداب قسم تاريخ، تذكَّرها وهي تنظر إلى أبيها القعيد نظرتها الأخيرة إليه وترْكها البيت، وكيف حاولت لمدة تجاوزت الشهر البحث عن عمل آخر غير الذي عوَّدتها عليه «لوبا» زوجة أبيها. تذكَّر ليالي جوع سوسن حتى قرارها بالعودة للدعارة مرة أخرى مقنعة نفسها في البداية بأن الظروف لا تسمح لها بالعمل في شيء آخر واقتناعها في النهاية بأنها تحب هذا العمل بشكل ما، تحب مغامراته ونقوده ولذَّة الطلب عليها.

تذكَّر كل هذا وتذكر «الأيام البيضاء» -كما يسمّيها- واستغرب أنها لم تعد تتكرر إلا أوقاتا قليلة لا أياما كما حدث أكثر من مرة، أيام لا يتذكر ماذا كان يحدث فيها.. يدخل هو والباقون فى غيبوبة كأنه لا يعيشها، آخر مرة حدث هذا كانت منذ أكثر من عام ونصف العام، أسبوع كامل لا يتذكر أي شيء حدث.. فقط هو نائم في البيت يستيقظ دقائق قليلة للأكل والشرب والنوم مرة أخرى، أما الباقون فلا يعرف ماذا حدث لهم ولا يهمه ما حدث أو ما يحدث في تلك الأيام، وعلى الرغم من غرابة هذا فإنه في تلك الأوقات يشعر براحة لا مثيل لها كأنه جهاز كمبيوتر يتم التحميل عليه من خمسة مصادر غيره أحداثًا ومشاعر وأحلامًا، على الرغم من أنه بروح واحدة، وفجأة يتوقف هذا السيل من المعلومات ويصبح هو فقط.

وعلى الرغم من أنه في تلك الأيام البيضاء يكون نائمًا، أي أنه لا يستمتع بروحه أو بالحياة منفردًا فإنه لا يحمل همومًا أكثر.. لا يشعر بآلام أمجد أو إحباطات جهاد ولا بالحرب الإعلامية والشائعات التي تواجه عمرو ولا حتى

اشمئزاز الناس من شكل شيدر.. لا شيء، فقط صفحة بيضاء من الأيام ملكه هو وحده، وهذا هو سبب اتخاذه هذا القرار في وضعه تلك الخطة وفي رغبته أن يتخلص من أجساده الأخرى ليصبح المالك والحامل الوحيد لتلك الروح المشتّتة بين كل هذه الأجساد والعوالم، وعلى الرغم من صعوبة القرار في البداية ونزعته الدينية التي حاولت دائمًا أن تثنيه عن هذا القرار فإنه بعد قراءةٍ وسؤال مشايخ الجوامع المحيطة به أيقن أنه على صواب. فأساس العقاب الديني للقتل هو أن تُزهَق روح، أن تُرغَم رُوح على ترك جسد ما وتعود إلى عالمها السُّفلي، هذا لن يحدث هنا، فكل ما سيفعله أنه سيتخلص من الأجساد الأخرى التي من الممكن أن تذهب إليها روحه، ببساطة سوف يكسر جميع الأوعية التي قد تسع روحه فلا يبقى إلا وعاء واحد وهو وعاء جسده فقط وهذا لا يعني إزهاق للروح، فالروح ستظل موجودة فيه إلى أن يأتي أوان رحيلها من هذا العالم كله بشكلها الطبيعي أو كما يتردد في ذهنه الآن «كما أقنعوني بأن هذا هو الطبيعي، فما يدريني.. قد يكون هذا هو ناموس الكون والعادي فيه، أن الروح تعيش في أجساد كثيرة. وقد يكون هناك

العديد مثلهم، مثل جهاد، مقتنعين بأن ما يحدث ما هو إلا مجرد أحلام، أو قد يكونون مثل عمرو لا يتذكرون ما يحدث معهم كأخيه الصغير الذي يتحدث معه دائمًا عن أنه يشعر بنقص لأنه لا يحلم مثل أصدقائه في المدرسة الذين يتحدثون في حصص الألعاب عن الحوريّات اللاتي يرونهن فى أحلامهم الأولى ويحتلمون بسببهن، ويسأله دائمًا: هل حقيقي أن أي شاب لم يحتلم لم يبلغ بعد ولن يتمكن من الزواج؟ ما يدريه فقد يكون دنجوانًا بروحه في جسد آخر ولكنه لا يستطيع أن يتذكر. المهم الآن أنه اتخذ العزم أخيرًا على قراره بأنه سيتخلص من البقية اليوم قبل غدٍ، سوف يستخدم ما يعرفه عن أجساده الأخرى ويتخلص منها، فلن يصدقه أحد مهما حاول إقناعهم، إذن فالخيار الوحيد هو التخلص من البقية وليبدأ بعمرو فاضل.

أَخرج شنطة سوداء كان يحملها من البداية وأخرج منها سكينًا وحبالًا وحُقنًا فارغة ومهدئات وضعها جميعًا في شنطة ظهر قديمة بعد أن أزال الأتربة الموجودة عليها. هنا لاحظ أن درج مكتبه مفتوح، نظر في اتجاهه برعب،

وفتحه عن آخره فلم يجد مبتغاه فيه، فنزعه من مكانه وهو مرعوب أكثر وحاول أن يبحث عن شيء ما، بحث عنه في كل الغرفة، ثم صرخ وقال: «الأجندة.. الأجندة». تذكَّر مذكراته التي دائمًا ما كان يدوِّن فيها كل تفاصيل ومغامرات روحه سواء في جسده أو فى الأجساد الأخرى. ارتعب من فكرة أن يتمكن أحد من الوصول إليها تحديدًا دون أن يعرف بالتأكيد أنه ليس لصًّا، فما الذي سيستفيده حرامي من سرقة أجندة مكتوب فيها ملاحظات ومذكرات بخط يده، ولماذا -إن كان لصًّا عاديًّا- سرق تلك الأجندة تحديدًا ولم يسرق أي شيء آخر من الشقة؟ هنا سرت قشعريرة في جسده، هذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا، أن إحدى شخصياته الأخرى قررت أن تقوم بنفس الخطة، قررت أن تتخلص من بقية الشخصيات، ولسبب ما ستبدأ به هو تحديدًا.

ما زاد من رعبه لم يكن هذا الخاطر، فبالتأكيد شخصية كعمرو فاضل أو سوسن لن تقبل أن تعيش في جسده وأن تشارك في تلك الحياة الفاشلة لمهندس أقصى راتب حصل عليه ٨٠٠ جنيه، ولكن أن هذا لا يعني فقط أن مَن سرق الأجندة أحد أجساده الأخرى، وإنما أن السارق

وجد طريقةً ما يُخفي بها ما يفكر فيه ويدور معه فى أثناء وجود الروح فيه عن بقية الأجساد، أصبح يملك القدرة على أن يعيش في جسده بشكل طبيعي فعلًا بشكل لا تعرف معه البقية ما يفكر أو يشعر به أو يتحكم في أجزاء مما يرى ويمر به في الحياة ويستطيع إخفاءه عن الباقين، لذا فالأسبقية الآن للأسرع والأجرأ. عزم مروان على أن يبدأ في خطته الآن بأن يتوجه إلى عمرو فورًا. حمل شنطته مرة أخرى بعد تأكد أنها مغلقة جيدا وتوجه إلى الباب إلا أنه في نصف الغرفة تداخل شكل الغرفة الموجود فيها الآن مع غرفة نوم سوسن في الفندق مع صوت يشبه الماء، تمالَك مروان نفسه لثوانٍ إلا أنه فقد السيطرة وسقط على الأرض مغشيًا عليه.

18

أفاقت سوسن على وائل السمري وهو يقف أعلى رأسها ويمسك في يده زجاجة مياه كبيرة يحاول إيقاظها بها، ويبدو أنه استغرق وقتًا كبيرًا جدًّا؛ لأن السرير غارق بالمياه، ووجهها احمرّ بسبب ضربها عليه برفق وهو يوقظها. تفيق سوسن كأنها كانت تغرق وخرجت من عمق البحر لتأخذ نفسًا عميقًا مستعيدة الشعور بالحياة مرة أخرى تستغرق لحظات لتستجمع علامات المكان وتفهم أنها ما زالت في سرير وائل السمري في الفندق، الذي ينظر إليها باستغراب: «انتي فاكرة إنّك في بيتكم! قومي ياما قومي عشان تمشي».

تقوم سوسن مرتبكة: «آه آه حاضر».

- «ادخلي الحمام وشوية وهتلاقي عندك فستان تاني على ما تاخدي دُشّ».

تقوم سوسن متخبطة وتدخل الحمام وتقف أمام المرآة قليلًا وتنظر إلى نفسها وهي تتذكر أشياء عن شقة مروان. تتذكر وقفته أمام الحائط الموجود عليه الصور. تتذكر صورتها الموجودة على الحائط، إنها تعرفها. تتذكر تلك الصورة، لا تستطيع أن تنساها؛ إنها أول صورة صوَّرها لها حماده الناني بعد أن قررت العمل معه. تتذكره وهو يختار لها قميص نوم معينًا يُظهِر أكثر مما يخفي ورفضها في البداية وتهديده لها بأنها «مالهاش عيش معاه لو مش هتتصور» وكيف رضخت له لأنه كان كبير قوادي شارع جامعة الدول، وتحديدا من ميدان سفنكس إلى نهاية أحمد عرابي. تتذكر شكله بعدما وجدوه ملقًى بجانب أكوام الزبالة أسفل كوبري سفنكس، كما يطلقون عليه، بعد أن قام أحد الكلاب بأكل جزء من طرفه الخامس (الاسم الدارج لعضو الرجل الذكري في تلك المنطقة). تذكّرته وللمره الأولى في وسط كل ما رأته من أحلام

ظنت خلالها أنها توارُد خواطر بأحلام أناس آخرين.
للمرة الأولى تشكّ في أنها جزء مما يحدث، جزء يشبه القصص والأفلام، يتكشف سرّه لها شيئا فشيئا منذ أن بدأت أحلامها في البداية.. أحلام متقطعة حتى بلغت الـ٢١ وبدأت ترى أحلامًا كاملة حتى الآن. أفاقها طَرْق وائل على الباب وأكملت غسيل وجهها وهي خارجة إلى وائل الذي وجدته بصحبة سكرتيرة في نفس سنِّها، سكرتيرته قد تكون إحدى زميلاتها في الكلية ولكنها لم تعد تخجل من تلك المواقف، فقط نظرت في عينَي وائل الذي أشار إلى فستان بيج اللون فى أحد الأركان لا يناسب ملابسها فاقعة الألوان، فستان عندما ارتدته بطوله المتوسط وشعرها الأسود المسدول على ظهرها شعرت برضا عن نفسها بعض الشيء كأنها تقول لنفسها إنها من الممكن أن تكون مثل بنات الناس العاديين المحترمين. أخذت شنطتها ونقودها وتركت فستانها المقطوع مكانه على السرير ونظرت إلى البنت بابتسامة واسعة واثقة لا تناسب موقفها وقالت لها: «ممكن تخيّطيه وتلبسيه هيبقى شيك قوي عليكي»، وتركتها وانطلقت بعد أن وضعت في جيب جاكت وائل كارتًا خاصًا

بها مكتوب فيه «سوسن» بخط كبير وأسفل الاسم «للتدليك والمساج الخاص» ثم رقم تليفونها. ونظرت في عين وائل وقبَّلته على خده لأول مرة منذ أن التقيا ولم يتراجع هو تلك المرة دون أن تعرف سر عدم اشمئزازه منها كما حدث في الليلة السابقة، ونظرة عينيه لم تخبرها هل هذا بسبب وجود سكرتيرته، وحتى يحكم أمامها خطته التي لا تفهم سببها أم أنه هدأ من ناحيتها بالفعل، وقالت له «لو عوزتني مش لازم تجيلي رنّة بس هتلاقيني عندك.. سلام» وتركته وخرجت. الجميع ينظر إليها، كل من تقابله من العاملين ينظر إليها بابتسامة واسعة، ولكنها لم تلحظهم، لم تفكر فى ما يفكرون فيه ولم تشعر باليأس كما يحدث دائمًا معها بعد كل ليلة فقط كان في رأسها شيء واحد، أن تذهب إلى المكان الذي ذهب إليه مروان وتتأكد هل هذا حقيقي أم لا، أم أنها مجرد أحلام فقط... هذا هو ما يشغلها الآن.

•

19

يتوقف التاكسى الأبيض وسط مساكن فيصل. العمائر قصيرة كالسكنات العسكرية، الشوارع هادئة أكثر من الطبيعي، الصباح رائق بعد ليلة غائمة أمس. بقايا الأمطار منتشرة في الشارع. يقرر سائق التاكسى أن يقف في بداية أحد الشوارع معلنا رغبته في رحيل سوسن لأن الشوارع مليئة بالمياه وهو قد قام بغسل السيارة أمس. تنزل سوسن متشككة وتائهة في أن يكون هذا المكان حقيقيًّا، بصعوبة تحاول تذكُّر مروان، هل جاء إلى تلك الشوارع أم لا؟ هل هناك مروان فعلًا أم لا؟ تتحسس الطريق محاوِلةً تفادي

السقوط في بِرَك المياه، تحاول تذكُّر خطوات مروان إلا أن الظلام الذي كانت فيه ليلة مروان خيَّب أملها في تذكُّر طريقه. تمشي في شوارع المكان الواسعة قصيرة الأرصفة التى هي ملاذها الوحيد من السقوط في المياه ولكن هناك بيوتًا قرروا أن يزرعوا فيها نباتاتهم المجهولة أو الخضراوات والنباتات العطرية خصوصًا الشوارع الداخلية. تسمع أصوات مجموعة من الأطفال فتلتفت جهتهم فتجدهم مجموعة من الأطفال لم يتجاوزوا العاشرة (أكبر من فيهم لم يتجاوز أحد عشر عامًا)، يجرى بعضهم خلف بعض وهم يضحكون ويلعبون لعبةً ما بالكرة التي يمسكون بها في أيديهم ويتقاذفونها، كادت تفلت منها صرخة عندما رأت الكرة تطير في الهواء متوجهة إلى إحدى بِرَك المياه الموجودة أمامها معلنة عن مصيبة لأي بنت وهي أن فستانها فاتح اللون سيشبه لونه لون الأرض. حاولت أن تأخذ قرارًا، إما أن تنتظر الكرة والماء الذي سيتطاير على فستانها. وإما أن تطير كلاعبي الكرة في الهواء وتمسك بالكرة قبل أن تسقط وهذا شبه مستحيل بكعبها العالي هذا، لذا فقرارها كان الأوقع أن تتراجع بسرعة إلى الخلف، أن تبتعد لأكبر مسافة ممكنة «أهو نُصّ العما ولا العما كله»، أن تضحِّي بنصف

الفستان أفضل من أن تضحي بالفستان كله. تراجعت بشكل هستيري والأطفال يضحكون عليها لأنها تتوجه بظهرها في اتجاه درجات سلم مؤدية إلى فناء الباب الخلفي لإحدى العمائر. تتراجع وهم يضحكون ويصرخون فيها «حاسبيييييي» ولكنها تقع بالفعل، تقع في وسط بِرْكة من المياه وتصاب ركبتيها إثر السقوط بكدمات وتصل المياه الراقدة إلى شعرها، تزداد عصبيتها جدًا، تحاول أن تقف في المكان إلا أنها تُذهل عندما ترى الفناء الداخلي للعمارة التي سقطت فيها، تراه من بين أسلاك الباب الخشبي لذلك المبنى. في الفناء هناك برواز كبير معلَّق للوحة الثمانينيات الأشهر، تلك السيدة التي تقبِّل ثعبان الكوبرا. تتذكر مروان وهو يصعد السلم مع والده، هذا الرجل الستّيني الحازم ذي الشعر الأبيض والملامح الشبيهة بمروان، ويحمل كل منهما أجزاء من سرير صغير فردي. تتذكر هذا اليوم، إنه منذ ٨ سنوات، الأب يسعل ومروان يحاول أن يأخذ منه ما يحمله إلا أنه يرفض «أنا مش هأجّر الشقة دي تاني من النهارده دي شقتك ملكك تتجوز فيها تنام فيها مع حريم اعمل فيها اللي إنت عايزه غير إنك تشرب فيها مخدرات إنت كبرت خلاص وبقيت بتشتغل أنا شايف إنك تجهزها

واحدة واحدة لحد ما تتجوز» ويصعد الاثنان من خلال السلم.

تفيق سوسن وهي تقف أمام باب الشقة وهي مرعوبة وتتذكر دخول مروان إلى الشقة منذ ساعات قليلة حتى استيقظت. تتذكر لأول مرة قراره بأن يقتلها ويقتل باقي الشخصيات. لا تعرف كيف تفسر لنفسها حقيقة ما يحدث ولا أن تصارح نفسها به إلا أنها الآن تكاد تنهار فزعًا، كل ما تفكر فيه أنها عندما ستنام سيستيقظ، عندما تنام سيحضر لها ليقتلها ولن تتمكن من منعه ولن يفهم أي شخص حقيقة ما تمر به مهما حاولت الحكْي والشرح.

لم تستغرق السلالم المؤدية إلى الشارع منها أكثر من خمس ثوانٍ، لم تكن تجري عليها وإنما تطير هربًا من كل ما تذكرته عن مروان والباقين، وفهمها أنها جزء منهم، لا تتذكر كيف وصلت إلى شقتها مع «سهر» كيف جرت مرتعبة وجلست في السرير خائفة منتفضة، حاولت «سهر» تهدئتها إلا أنها لم تهدأ كانت وهي في الطريق قد توصلت إلى حل من الممكن أن يجعلها تطمئن بعض الشيء، أخبرت «سهر» أن الرجل الذي سهرت معه

تلك الليلة منحرف الطباع وأنه حاول أن يطلب منها طلبات تفوق كل الطلبات المعتادة بالإضافة إلى الضرب والإهانة، صدَّقتها «سهر» بسرعة لأنها لم تغب طوال السنوات السابقة عن العمل يومًا واحدًا، صدَّقتها ولأول مرة أخذتها في حضنها محاوِلةً تهدئتها لكنها لم تهدأ، أكدت لها أنه لن يتمكن أحد مهما كان من الوصول لها أو أذيّتها، أكدت لها أنها ستبقى معها اليوم ولن تنزل للعمل وطلبت منها النوم إلا أنها تراجعت عن هذا الطلب عندما وجدتْها تزداد خوفًا وفزعًا من النوم. ظلت هكذا جالسة في مكانها تحاول تذكُّر ما كانت تحلم به ولا تعيره اهتمامًا، لأول مرة تكون تفاصيل أحلامها بتلك الأهمية، تحاول التأكد من أنها لن تنسى شيئًا، تحاول ربط كل شيء مما تتذكره بعضه مع بعض، تحاول أن تفكر في حل لقرار مروان... لن تتمكن من أن تستأجر أحدهم لقتله، لا تستطيع أن تفكر بمثل طريقته، لن تتمكن أن تكون سببًا في فقد أم وأب لابنهما حتى وإن اقتنعت أن روحها هي روحه ولكنها لن تعوضهم عن شيء لن يفهماه.

مرَّ الوقت وهي تجلس نفس الجلسة كأنها مصنوعة من الحجر، أُجهدت من التفكير ومحاولة البحث عن حل،

شعرت بالنعاس وكادت تسقط نائمة إلا أنها عافرت وقامت جريًا إلى المطبخ صنعت كمية كبيرة من القهوة وجلست في الصالة تحتسيها وهي تشاهد التليفزيون، رأت البنات وهن يغادرن إلى العمل وفوجئت «سهر» بأنها ما زالت مستيقظة فجلست معها محاولة فتح الموضوع مرة أخرى دون جدوى، لم تفق سوسن من حالتها إلا عندما وجدت البنات عائدات من يوم عمل شاقّ، وهذا يعني أن صباح اليوم التالي قد أتى وهي تكتفي فقط بالجلوس في مكانها دون حل، فقط أكواب القهوة منتشرة حولها. بمجرد دخول البنات كانت «سهر» تقف بالقرب من إحداهن وتأخذ منها شريطًا مهدئًا وتأخذ منه حبة وتضعها مع قهوة تصنعها لسوسن وتعطيها إياها فتصرخ سوسن والنعاس يغلب عينيها إلا أنها لا تتمكن من المقاومة وتنام.

20

كأن الأرض قررت السكوت فجأة؛ يدخل الخمسة في نوم عميق، لا يتحركون منه. في المستشفى يقف ثلاثة من أولاد أمجد مصطفى خلف زجاج غرفة الإنعاش وقد دخل أمجد في غيبوبة منذ أيام. يتناقش الأولاد في ضرورة إنهاء عذاب الأب وفصله عن أجهزة الإنعاش والبدء في إجراءات تقسيم الميراث، ترفض الابنة هذا الاقتراح مهما قالوا أو حاولوا أن يقنعوها بأي شكل أن هذا القرار هو الأفضل له، لن تنسى أنهم كانوا السبب في موافقتها على رفع قضية الحجر عليه ورفضه لمقابلتهم من يومها.

أعلنت قرارها النهائي أنه لن يُفصل عن أمجد الأجهزة وإن كان هذا آخر قرار ستأخذه في حياتها، لم يُثْنِها صراخ الأخ الأكبر في وجهها ولو حتى بمجرد التفكير في التراجع، لم تلاحظ من كلامه إلا شيئًا واحدًا وكلمات قليلة، كلماته الخاصة بأنه بعد عشرة أيام على الأكثر سوف يستخرج أوراق تثبت أن الأب ذهب في طريق اللا عودة وسوف ينزع عنه أسباب الحياة وأسلاكها حتى وإن رفضت وإن وقفت أمامه، وحينها إن اضطُرّ إلى فعل هذا لن يكون له هم إلا أن يحرمها من أكبر قدر من نصيبها في أموال الأب، لن تعرف شيئا عن الأعمال غير الرسمية والشركات الوهمية المسجَّلة بأسماء آخرين، لن تتمكن من الوصول إليها.

فقط اكتفت بالنظر إلى وجه أبيها الضعيف على سرير الرعاية شاعرةً بالذنب تجاهه طوال تلك المدة منذ أن وافقت على رفع قضية الحَجْر على الرغم من أنها لم تكن تفعل أي شيء قبل هذا إلا أن تأمره بطلباتها التعجيزية وأن تصرف من أمواله وأن تتعالى على الجميع لأنها ابنته، هذا هو كل ما كانت تفعله، وفي النهاية قررت أن تقف

ضده، أن تشارك في تلك القضية وأن تشعر بذنب غضبه عليها، وحتى الآن أوشك على موته دون أن تستطيع أن تطلب عفوه.

جهاد كانت نائمة، تستيقظ فقط لحظات قليلة، هي تلك اللحظات التي تقوم بإيقاظها أمها فيها وهي تضع في فمها الطعام والشراب بالقوة. ثم تصنع الأم ذلك الكردون الأمني حولها بعد ذلك مانِعةً الجميع من الاقتراب، متحججة بأن جهاد قد أصابها التهاب الغدد الليمفاوية أو «أبو اللكيم» وهو ما يمنعها من الظهور أو الكلام خوفًا من أن تعدِي البقية. أرسلت الأم أبناءها الآخرين كل واحد منهم عند أخت من أخواتها لتستطيع أن تدخل وتخرج على جهاد دون أن يلاحظ أحدهم مشكلة ما، وأن تجيء بأم عزة الدجالة في المساء بعد ذهاب الأب إلى السايبر لكي تقوم برقيتها. لم تُفاجأ أم جهاد بما أخبرتها أم عزة، لم تشعر بأن كلامها غريب، ولم تشكّ للحظة فيها منذ أن بدأ هذا الأمر يحدث لابنتها وهي في انتظار تلك اللحظة «روح بنتك مخطوفة عند اللهم احفظنا ملك من ملوك الجن وأكيد عجبته وعايز يخلّف

منها». كانت تتوقع أن تلطم عندما تسمع ذلك الخبر، أن تحضر التراب من على الأرض وتضعه على رأسها أو أن تشقّ ملابسها وتصرخ محضرة الجيران ليقفوا بجانبها في أزمتها إلا أنها فوجئت بنفسها لم تفعل كل هذا، فقط نظرت إلى ابنتها وإلى أم عزة نظرة مَن كان يعرف أن هذا سيحدث، نظرة تقول «وبعدين؟! ما العمل الآن هل أعتبرها خُطفت وماتت وادفن جثتها أم ماذا أفعل؟ هل هي ميتة الآن فعلًا أم ماذا؟

لم تعرف أم جهاد فقط ماذا تفعل، هذا هو ما يحيّرها هل تخبر أباها بكل ما يحدث ويتصرف هو كما يرى؛ فهو رجل البيت وعليه أن يأخذ قرارا؟ ولكن الرجال قساة القلب! سوف يقرر أن يدفن البنت أو أن يضعها في مستشفى حكومي ليرى ما سيفعلون بها لا لأنه مقتنع ومؤمن بالقضاء والقدر وإنما عشان يريَّح دماغه. تراجعت عن تلك الفكرة وأفاقت على كلام أم عزة التي لاحظت شرودها فقررت أن تخبرها بأمر ما: «بصّي يا ست أم جهاد الموضوع ده مش هيخلص إلا بطريقة واحدة..». لم تتمالك السيدة نفسها، فأخيرًا جاءت أم

منها». كانت تتوقع أن تلطم عندما تسمع ذلك الخبر، أن تحضر التراب من على الأرض وتضعه على رأسها أو أن تشقّ ملابسها وتصرخ محضرة الجيران ليقفوا بجانبها في أزمتها إلا أنها فوجئت بنفسها لم تفعل كل هذا، فقط نظرت إلى ابنتها وإلى أم عزة نظرة مَن كان يعرف أن هذا سيحدث، نظرة تقول «وبعدين؟! ما العمل الآن هل أعتبرها خُطفت وماتت وادفن جثتها أم ماذا أفعل؟ هل هي ميتة الآن فعلًا أم ماذا؟

لم تعرف أم جهاد فقط ماذا تفعل، هذا هو ما يحيّرها هل تخبر أباها بكل ما يحدث ويتصرف هو كما يرى؛ فهو رجل البيت وعليه أن يأخذ قرارا؟ ولكن الرجال قساة القلب! سوف يقرر أن يدفن البنت أو أن يضعها في مستشفى حكومي ليرى ما سيفعلون بها لا لأنه مقتنع ومؤمن بالقضاء والقدر وإنما عشان يريّح دماغه. تراجعت عن تلك الفكرة وأفاقت على كلام أم عزة التي لاحظت شرودها فقررت أن تخبرها بأمر ما: «بصّي يا ست أم جهاد الموضوع ده مش هيخلص إلا بطريقة واحدة..». لم تتمالك السيدة نفسها، فأخيرًا جاءت أم

عزة بشيء نافع غير البخور والأحجبة والمياه المنقوع فيها دماء الديوك والكلاب، أخيرًا تتحدث عن حل «الحقيني بيه أبوس إيديك».

- أم عزة: «الحل الوحيد يا ست إننا نحضّر الجن ده ونعملّه طلبه..».

- أم جهاد: «أنا معاكي يا ستنا بس الصراحة أنا مابقتش أحتكم غير على غويشة وسلسلة دهب بتوع جهاد أبيعهم عادي فِدا ضفرها بس هيكفّو..؟».

- أم عزة: «آه هيكفّو بس هيكفّو لزوم الحاجات اللي هنشتريها لكن طلب الجن هيبقى كبير».

نظرت إليها أم جهاد نظرات متشككة، خصوصًا أنها المرة الأولى أيضًا التي ترى في عين الست شيئًا من الإحراج، قالت في نفسها «دي بجحة وعنيها تدبّ فيها رصاصة.. عايزة إيه يا وليّة انطقي».. وكانت أم عزة قد سمعت كلامها فقالت بلغة سريعة كأنها تخاف من رد فعل أم جهاد: «الجن ده مش راح يسيب بنتك إلا بحاجة بداها».

- أم جهاد: «أيوه يا أم عزة ما أنا فاهمة حاجة إيه؟»

- أم عزة: «بصّي يا ست الناس، أنا مجرّبة الموضوع ده كتير وسرّكم في بير ماتقلقيش، كل اللي هيحصل إنك هتجيلي يوم من أوله ببنتك وهنحضّره على عيل من صبياني، آه هيحضر وغرضه هينوله..».

- أم جهاد: «غرضه؟ غرض إيه يا ولية انتي قصدك يعاشرها بجد يا خرفانة؟! بقى أنا باعمل كل ده عشان سمعة البت وجوازها أروح عاملالها فضيحة بجلاجل؟! لا يا ختي تموت أحسن».

- أم عزة: «ومين قال يا ست إنه هيعاشرها، هوّ هيعاشرك انتي، هيرافقك انتي بدالها، وأنا عارفة الجن مايعاشرش بت وأمها أبدًا، لو عاشرك مش هيفكَّر فيها تاني، وقُلتلك نحضّره عشان لما يعاشرك يعاشرك في الدنيا دي، ما يروحش بيكي هناك عندهم، يعني انتي مش هتفرق معاكي أي حاجة خالص غير الليلة اللي هيطلبك فيها هتيجي عندي ولا من شاف ولا من دري.. الصبي اللي هنحضّره عليه مش هيفتكر حاجة من اللي حصل، يعني سرّك هيبقى بيني وبينك وبين بنتك».

تلطم أم جهاد خدودها خوفًا ورعبًا من الفضيحة لا من الموقف: «يا نهار اسود يا نهار اسود»، ثم تنحني على يدها وتقبِّلها وهي تبكي: «يا ستّنا شوفي لنا حاجة تاني، حاجة تاني يا ستنا أبوس إيدك، على آخر الزمن هانام مع عفريت وأنا عندي خمسين سنة! يا ستنا أبوس إيدك شوفى لنا حل تاني، أنا ممكن أشحت وألمّ لك قرشين حلوين.. أي حاجة يا أم عزة، أي حاجة تانية».

تحاول أم عزة تهدئتها بأن تمسك ذراعيها وتنظر في عينيها مطمْئنةً لها، ثم تأخذ شنطتها بعد أن تضع بعضًا من البخور في المبخرة التي جاءت بها معها وتكمل حديثها وهي متوجهة إلى الخارج «لا دي حاجات كبيرة يا أم جهاد مافيهاش لعب ولا حلول، والنبي لو جبتيله آلافات الدنيا كلها، ده جن ياختي ماتفرقش معاه الفلوس بتاعتنا دي، فكّري يا أم جهاد وأنا معاكي لحد آخر الأسبوع، لو ماخدتيش قرار بنتك هتروح منك، يا تعاشري الجن يا تدعي إنه يكون ليه في الخشن ويعاشر جوزك أو حد من عيالك الصغيرين، غير كده ماتجيليش يا أم جهاد ماتجيليش تاني بدل ما تغضّبيهم عليّا وتقلبيهم عليا.. مع السلامة».

هناك في غرفة نوم عمرو فاضل كان عمرو في مكانه ينام على السرير بنفس ملابسه منذ أيام أو تحديدًا دون ملابس، فقط بشورت قصير، وقد خسر من وزنه كيلوجرامات كثيرة، يبدو أنه في حالة حمًّى ما؛ فالعرق يملأ وجهه وجسده على الرغم من الهواء البارد الذي يدخل إلى الغرفة.. السرير متّسخ من قيء لعمرو، يبدو أنه مستمر منذ أيام. كان عند الشباك يقف «شيدر» ينظر إليه نظرة ثابتة دون أن يتحرك، يقف كأنه يحرسه بشكل ما أو يراقبه، يجلس على رجليه الخلفيتين ويرفع الأماميتين في ثبات مميت، هناك شيء غريب في نظرته كأنها تخترق رُوح عمرو فاضل، لا يعرف السبيل لإنقاذه من الحالة التي يمر بها، لقد تعرض عمرو للتسمم أو محاولة التسمم من أحد لا يعرف مَن هو، كل ما استطاع «شيدر» أن يفعله أن يزيد من برودة المكان، أن يصاب عمرو ببرد شديد يجعله يُخرِج كل ما في جوفه من السموم، تأكَّد فقط من أن هذا حدث لجسد عمرو وانتظر مع المنتظرين في الكون. يعلم «شيدر» أنه لا يملك كل شيء، يملك قُوى ليست عند البقية إلا أنه لا يملك أن يفعل لجسد عمرو سوى ما فعله، محاولته أن يخلّصه من السم فقط هذا ما يستطيع أن يفعله، لا يعلم أين رُوح هؤلاء السبعة الآن؟

آخِر مَن توقفت عنده كانت سوسن ولكنه يعلم شيئًا لا يعلمونه، إنهم سبعة وليسوا ستة أجساد ولكن هناك شيئا حدث للسابع وتمكَّن من أن يُخفِي عنهم مكانه وذكرياته واللحظات التي تكون فيها الروح فيه.

حاول «شيدر» أن يصل إليه دون جدوى، فاكتفى من البحث، اكتفى بالإرث الذي ورثه منذ مولده؛ أن يكون المضيف السابع للروح بعد أن ماتت أم أمه فى أثناء ميلاده. اكتفى بهذا الشرف الذي تتوارثه فصيلته منذ القدم، يعلم أنه محطة راحة الروح من الصراعات والأزمات التي تواجهها في أجسادها الأخرى. وعلى أى حال فإن تلك الروح تحديدًا لم ترهقه كبقية الأرواح السبع. «شيدر» الآن يحمل سبع أرواح أو هو ملاذ راحتها، أي أنه يعيش حياة ٤٩ شخصًا بالتمام والكمال، كل رُوح لها سبعة أجساد تعيش فيها، هو واحد منها، إلا أن تلك الروح تتميز عن البقية بأن هناك الكثير منهم يفهم ما يحدث معه، أنهم على الرغم من أي شيء ليسوا بقسوة رُوح مثل رُوح هدى الروينى، تلك الروح التي تعيش -ضمن مَن تعيش فيهم- في جسدين، كل منهما

لقاتل محترف، يحمِّلها كلٌّ منهم بأحمال قتلة لآخرين دون أن يعيروا انتباهًا لأن مَن يقتلونهم يزيدون أحمال روحهم، و«شيدر» هو مَن يعاني في النهاية... ولا حتى مثل رُوح محمد كريم أو فريدريك كما يحب أن يسميها، لأنها من الأرواح التي توزَّعت أجسادها المضيفة في خمسة بلاد مختلفة كل بلد فيها بلغة وثقافة مختلفة، فلا تشعر أجسادهم براحة خصوصًا أن الأجساد مختلفة تمامًا، وأحلامها مختلفة تمامًا، وكل ما يشعرون به هو التوهان والضياع في هذا الكون.

لذا فرُوح أمجد مصطفى ومَن معه هي الأفضل لـ«شيدر» الذي دائمًا ما يشعر براحة معهم وهدوءًا بعض الشيء. لا يعرف الآن هل سيكمل عمرو فاضل الحياة أم انتهى دوره إلى الآن. اختفى شيدر من المكان، اختفى بهدوء ورحل.

21

يجلس وائل السمري خلف مكتبة في شركة العقارات التي يمتلكها والتي أنشأها منذ سنوات قليلة، ملامحه لا تبشِّر بالخير؛ فبشرته البيضاء لا تساعده على إخفاء انفعالاته عندما يتحول لونه إلى الأحمر... الغضب يكاد يتسبب في انفجار وجهه. يقرأ في إحدى الجرائد الأسبوعية ذائعة الصيط موضوعًا تحت عنوان «الحكومة تحاول السيطرة على اقتحام أشباه الرجال للسوق المصرية»، وتحته صورة لوائل ضمن مجموعة من الصور، وفي متن الموضوع كان وائل يضع علامات على الأجزاء التي تتحدث عنه «دخل

رجل الأعمال الأشهر في السنة الأخيرة السوق المصرية منذ أربع سنوات على أكثر تقدير، لا يعرفه الكثير من القائمين على الجهات الرقابية، نحن فقط نتساءل: لماذا لا يخرج علينا السيد المحترم ويرد على الاتهامات التي توجَّه إليه؟ لماذا لم ينفِ مكتبُه شائعة علاقته بمصمم الأزياء الشهير؟»، كان يتابع بعينيه المقاطع التي علَّم عليها أكثر من مرة يتابع اللقطات التي يكتب عنها كاتب الموضوع عنه وعن آخرين «لماذا لا يسأل عن حقيقة أهدافه الاقتصادية ومصادر أمواله التي تنتشر في السوق المصرية في مختلف المجالات محطِّمةً أسعار السوق متسببًا في إفلاس العديد من المصانع الصغيرة؟».

أغلق الجريدة بعصبية على صفحتها الأولى «جريدة الحقوق» جريدة تصدرها مؤسسة «الأمل» لصاحبها أمجد مصطفى، أغلقها وألقى بها بعصبية وهو ينظر إلى مانيشتات جريدة «نهار بكرة» وهي تضع على صفحتها الأولى صوره بصحبة سوسن في البار وعليها مانشيت بالأحمر «ليالي السمري الحمراء» فيبتسم للعنوان ويفتح الجريدة ويرى تفاصيل أخرى عن ليلته بصحبة سوسن

رجل الأعمال الأشهر في السنة الأخيرة السوق المصرية منذ أربع سنوات على أكثر تقدير، لا يعرفه الكثير من القائمين على الجهات الرقابية، نحن فقط نتساءل: لماذا لا يخرج علينا السيد المحترم ويرد على الاتهامات التي توجَّه إليه؟ لماذا لم ينفِ مكتبُه شائعة علاقته بمصمم الأزياء الشهير؟»، كان يتابع بعينيه المقاطع التي علَّم عليها أكثر من مرة يتابع اللقطات التي يكتب عنها كاتب الموضوع عنه وعن آخرين «لماذا لا يسأل عن حقيقة أهدافه الاقتصادية ومصادر أمواله التي تنتشر في السوق المصرية في مختلف المجالات محطِّمةً أسعار السوق متسببًا في إفلاس العديد من المصانع الصغيرة؟».

أغلق الجريدة بعصبية على صفحتها الأولى «جريدة الحقوق» جريدة تصدرها مؤسسة «الأمل» لصاحبها أمجد مصطفى، أغلقها وألقى بها بعصبية وهو ينظر إلى مانيشتات جريدة «نهار بكرة» وهي تضع على صفحتها الأولى صوره بصحبة سوسن في البار وعليها مانشيت بالأحمر «الليالي السمري الحمراء» فيبتسم للعنوان ويفتح الجريدة ويرى تفاصيل أخرى عن ليلته بصحبة سوسن

وصورًا أخرى له وللغرفة وتفاصيلها فتهدأ نفسه ويبتسم ابتسامة واسعة ويتحدث في موبايله إلى رئيس تحرير «نهار بكرة» مرة أخرى: «حلو جدًّا الشغل ده. عايزك بقى تلعلع لي بأفكار من دي كتير وتكلم أصحابنا اللي في البرامج كمان يتكلموا، والإعلانات ماتقلقش منها كل ما انبسط أكتر هتنبسط أكتر.. يلّا باي». يغلق تليفونه وهو ينظر مرة أخرى إلى جريدة «الحقوق» الملقاة بعيدًا عنه في نفس الوقت الذي يفتح الباب وتدخل سكرتيرته الخاصة وبصحبتها سميرة المساعدة الأولى لأمجد مصطفى. تنظر سميرة إلى الجريدة الملقاة على الأرض وهي تبتسم ابتسامة بسيطة وتنظر إليه وهو ينتظر سكرتيرته أن تغادر. بمجرد أن تغلق الباب يقف أمامها ويمسكها من كتفيها وهو يتحدث بعصبية: «الاتفاق ممكن يتلغي في أي وقت.. الفلوس اللي بتاخديها ليها تمن واللي بينزل في جرناله ده انتي أكيد عارفاه وهو اللي أمر إنه ينزل».

- سميرة: «بص يا وائل اتفاقنا كان واضح من الأول أنا هاجيبلك معلومات من الحاجات اللي بتحصل.. معلومات ممكن تسرّبها لولاد أمجد، تشوف إنت هتستخدمها إزاي..

الكلام ده مش هيفرق معايا.. لكن مش كل المعلومات اللي عندي هتبقى عندك وإلا أسيب أمجد وآجي أشتغل معاك أحسن والفلوس اللي إنت بتتكلم عليها دي يادوبك بتكفّي شوبنج كل شهر في دبي لكن وطالما أنا شايفة إن المعلومات اللي بتاخدها دي مش بتأذيني إيه المانع إنك تاخدها، بس ده آخر اتفاقنا، لكن لو هتعاملني زي سواقك ولا البودي جارد بتاعك اللي بينزل يتصنط لك ويعسّ لك على الناس عشان يجيب لك معلومات وتظبّطه بمتين تلتومية جنيه ويبوس إيدك وهو بيقول لك: تسلم يا باشا.. ممكن نلغي الاتفاق اللي بينا ده وتدورلك على حد غيري».

يكتم وائل عصبيته التي تزداد بسبب حديث سميرة معه إلا أنه يعلم موقعها القريب من أمجد، يعلم أن المعلومات التي تعتقدها جنون، هي السبب في تصديه لهجوم أمجد عليه منذ أن ظهر في مصر وبدأ في منافسته، لم يجد وسيلة أخرى يتمكن أمجد من معرفة كل تلك المعلومات عنه إلا عندما جاءته معلومات علاقة أمجد بعمرو فاضل الفانتازية. وتجربته في هذا العالم منذ أن سافر من مصر منذ أكثر من ٢٠ عامًا وعاد إليها كأكبر رجال الأعمال بعد ضنك وفقر عاناه

قبل سفره علَّمه أشياء كثيرة عن معنى كلمة «مستحيل» في هذا العالم، تعلَّم أن هناك أشياء قد لا نجد لها تفسيرًا منطقيًّا وأن السبيل الوحيد لفهمها هو محاولة الاقتناع بحدوثها كما هي دون محاولة للتفسير خصوصًا بعدما وجد أمجد يتراجع بالفعل عن الهجوم عليه عندما هدد بشكل غير مباشر عمرو فاضل بأنه سيتركه، سيتخلَّى عنه وهو يعلم أنه يحبه كما لم يحب من قبل. ظن في البداية أن أمجد لن يهتم، إلا أنه اهتمّ بشكل مفاجئ وحاول تقليل الهجوم عليه، لاحظ وائل التغيير فاقتنع بأن ما تخبره به سميرة على أنه جنون هو حقيقة قائمة ولكنها لا تفهمها لأنه لم يخبر أحدًا سوى عمرو فاضل بهذا القرار. لذا كان القرار بأن يحاول أن يتعايش مع كل من يعرفهم من شخصيات، أن يتقرب منهم، أن يحيطهم؛ فيحيط أمجد، يحاول أن يُكثر له إمكانية العيش في تلك الأجساد، أن يفضحها ويستغلها كما فعل مع سوسن فهي الآن تخسر، ومع الوقت قد يتمكن من تخويفها من بوليس الآداب والشرطة، وهنا سيخاف أمجد من الاقتراب منه. يعلم أن أكثر ما يقوِّي أمجد الآن هو شعوره بأنه إن مات فسيعيش في أجساده الأخرى ولكن إن شعر بأي خطر عليهم سوف يرضخ لكل ما يطلبه، وحتى

الآن لا يرغب إلا في أن يبتعد عنه، أن يتركه يتمكن من غسل أكبر كَمٍّ ممكن من الأموال قبل أن يُغضَب عليه سواء من أصحابها في الخارج أو من النظام في الداخل؛ فهو يعلم أنه كلما شبع القائمون على النظام من نسبتهم والملايين التي يحصلون عليها مقابل سكوتهم كانت رغبتهم في التخلص منه أسرع، ففي النهاية أمواله مشبوهة ويعلمون مصدرها الحقيقي والتخلص منه آتٍ آتٍ إلا أن تأخيره هو ما يفرقه عمن سبقوه، هو ما يميزه؛ فدائمًا ما تكون الواجهات أو الشخصيات التي يتم إرسالها إلى البلاد النامية لتكون واجهة غسل الأموال أكثر طمعًا من أصحاب المال والنظم في تلك الدول وهو ما يسرع من سقوطها، إلا أن خبرته علَّمته أن لا يستعجل، أن تكون ضربتك واحدة قاضية أفضل من أن تضرب آلاف الضربات ويضيع مجهودك وتسقط في النهاية.

انتهت سميرة من فنجان القهوة الموجود أمامها وهي تنظر إلى وائل وشروده وقررت أن تنهي هذا الموقف: «أمجد بيخلَّص..».

- «إيه؟ إزاي؟!..».

- «بقاله كذا يوم في غيبوبة ماصحيش منها.. أنا قولت

آجي أقولك على المعلومة دي يمكن تحب تظبّط مع حد من ولاده أو يبقى في تصرف في دماغك».

تأخذ من أمامه الولاعة بعد أن انتهى من إشعال سيجارة وتشعل منها سيجارتها وهو شارد الذهن وتقوم وتتوجّه إلى الخارج بعد أن تقول له إنها سوف تتابع مع الجديد دائمًا إذا ما كان هناك جديد في الفترة المقبلة تخرج وهي تمسك الولاعة بأظافرها وتتوجه إلى الخارج وهي تضعها في شنطتها. ارتبك وائل؛ إذا مات أمجد قد يرتاح من ضغطه ويلتفت إلى خصومه الآخرين أو أن يستغل ورثته أي معلومات ضده.

22

كان الجميع نائمًا في بيت «سهر».. الساعة لم تتعدَّ الثانية عصرًا، لم يستيقظ أيٌّ منهم بعد، وسوسن ما زالت في غفوتها التي لم تستيقظ منها منذ أيام، صوت الطَّرْق على الباب والضغط على الجرس كان مفاجئًا وقويًّا، كأن الشرطة جاءت لتقبض عليهم. قامت «سهر» والبنات وهن في غاية الخوف، توجهَت «سهر» إلى الباب حتى تفتح، واستغربت لأنها لم تجد أحدًا عندما نظرت من العين السحرية في الباب ولكنها اطمأنَّت أنها ليست الشرطة، فبالتأكيد آخِر مَن سيختبئ منها هم رجال

الشرطه. صرخت بثقة الآن: «أيوه يا حمار يا اللي ع الباب.. في حد يخبّط كده؟ مين؟ مين؟».

انتظرَت الإجابة لكن لم يأتها رد، نظرَت إلى الساعة فوجدتها الثانية ظهرًا فاطمأنت إلى أنه أيضًا ليس لصًا ما، فبالتأكيد البواب يقف في الأسفل والعمارة كلها متيقظة، فلن يكون هناك خطر. فتحَت الباب ناظرةً حولها مستغربة من أنه لم يكن هناك أحد بالفعل، شكَّت أنه أحد أطفال العمارة الذي قرر أن يلعب في هذا الوقت تحديدًا ويطرق بابها ويجري وهو عائد من المدرسة، إلا أن عدد جريدة «نهار بكرة» الموجود أمام الباب غيَّر رأيها. أخذته بتشكّك وكادت تلطم وجهها عندما وجدت صورة سوسن. عرفَتْها من ملابسها الداخلية على الرغم من التشويش الموجود على وجهها. نظرت حولها متأكدة أنه لا يوجد مَن يتابعها ودخلت هي والبنات صارخة: «صحّولي بنت الوسخة دي.. هتودّينا في داهية.. يا خرابي لو حد من الجيران عرف، هيطردونا في الشارع واللي عملته في السنين دي كلها هيضيع».. يحاول الجميع أن يهدِّئ من ثورة «سهر». تذهب إحداهن إلى الداخل وتضع كل متعلقاتها في شنطتها مؤكدة

أن البيت «اتشبه» وعلى كلٍّ منهن أن تبحث عن مصلحتها. تصرخ فيها «سهر»: «لا يا وسخة أنا عارفة أن لُو لا قالتلك تروحي عندها الشقة وكيفك جايبك تجرّبيها ماتتلككيش». هكذا صرخت فيها «سهر» ودخلت إلى سوسن وظلت تضرب فيها وتحاول أن توقظها إلا أن سوسن لا تستجيب. تصرخ إحدى البنات مؤكدة أن سوسن ماتت، إلا أن أخرى تنهرها وتؤكد لها أنها تتنفس. تحاول الأولى أن تجري لتحضر الدكتور إلا أن «سهر» تصرخ فيها مؤكدة أن موتها سيكون أفضل للجميع وإن لم تمت فبمجرد أن تستيقظ سوف ترحل من البيت دون أي نقاش أو محاولة منها لإقناعها بأنها لم تكن السبب وأنها لم تعلم أنه شخصية مشهورة سوف تتم متابعتها بشكل مستمر. ستحاول أن تتأكد الآن أنه لم يلاحظ أحد من سكان العمارة أو المحلات التي تتعامل معهم أي شيء.

كانت «سهر» تجلس والبنات حولها عندما وجدن سوسن تخرج من باب الغرفة شبه مسطولة تحاول أن تتمالك جسدها: «صباح الخير ما لكم؟ متجمعين كده ليه؟». لم تمهل «سهر» سوسن لتكمل كلامها بمجرد أن

رأتها كانت تقف أمامها صارخة: «بصّي يا بت انتي أنا مش هاتلطّ عشان شرموطة زيّك مش عارفة تحافظ على نفسها.. من النهارده مالكيش عيش هنا».

- سوسن: «إيه ايه.. هو في إيه؟!».

بحاجبها المرفوع وفرحتها في التخلص من سوسن تحضر إحدى البنات الجريدة وتعطيها لسوسن التي تكاد يغمَى عليها عندما رأت نفسها في الصور... كتمت صرخة بداخلها وهي تحاول التفكير في كل الاحتمالات في وقت واحد؛ في احتمال أنها ستترك الشقة، أين ستذهب؟ وإن لم تتركها تعلم أن «سهر» لن تسامحها، هل ستبدأ من جديد في مكان آخر أم ستنزل إلى شارع من الشوارع باحثة عن قواد يستطيع أن يوفر لها عملًا بمقابل بسيط وأمان ما؟ أم ستضطر إلى أن تبدأ في النزول إلى الدائري منتظرة أي مصلحة مع معرفتها أن أغلب مَن يخاطرن بالنزول إلى الدائري والطرق الصحراوية واستراحات الطرق في الغالب لا يكملن في الدنيا أشهرًا معدودة، وفي أفضل الأحوال سيتمكنَّ ثم يُقبَض عليهن ويسجنَّ ويقضين أغلب الباقي من حياتهن في الأقسام

والسجون محاولات تخفيف العقوبات عنهن بإرضاء الضباط والشاويشية وأحيانا العساكر؟! رأت مصيرها في مرات كثيرة؛ أحيانًا ملقاة على الطريق مقتولة أو تكاد تموت من الإعياء... رأت وأعادت كل القصص التي سمعتها منذ عملها في تلك الشغلانة. كان البنات قد انتهين من جمع أغراضهن في شنطة كبيرة، نظرت إليهن نظرة فاخرة متأكدة أنهن لن يتراجعن عن رحيلهن، حتى إن استطاعت استمالة «سهر» إلى جانبها فالبنات سوف يُثِرْنَها أكثر حتى تطردها؛ فعلاقتها بهن ليست بالقوة التي تظهر في التعامل. استسلمت لرغبتهن وذهبت ولبست ملابسها وأخذت الشنطة مودِّعة هذا البيت الذي عاشت فيه في السنوات الأخيرة.

في الشارع شعرت بأن الجميع يتهامسن عليها يقذفنها بنظرات الكره أو الشهوة، لا تعلم إن كانت حالتها هي ما تهيئ لها هذا الشعور أم أنهن ينظرن إليها بالفعل. وقفت على شارع المريوطية الرئيسي، ظهرت أمامها سيارة فيات حمراء بها شابَّان في أواخر العشرينيات، نظرا إليها معاكسَين في البداية ثم مؤكدَين لها أنهما يعرفانها

وأنها قضت معهما ليلة في تلك السيارة منذ أكثر من عام، ترددت قليلًا في الركوب، حاولت الابتعاد إلا أنها سألت نفسها لماذا تبتعد الآن؟ هي بحاجة إلى المال أكثر من أي وقت آخر: «هتدفعو كام؟».

- «أيوه بقى.. اللي تؤمري بيه يا قمر».

- سوسن: «لأ.. نتّفق قبل ما اركب».

- «طيب.. بصّي إحنا عندنا شقة في أكتوبر وعندنا امتحانات الأسبوع كله، هتاخدي اللي المعيد اللي بيراجعلنا هياخده بس تقعدي معانا الأسبوع كله نذاكر سوا.. ألفين جنيه».

كادت تصرخ بسبب هذا الرقم الذي كانت تحصل عيه في أسوأ أيامها في ليلة واحدة إلا أنه الآن مبلغ ضخم تستطيع أن تؤجّر به شقة ولا تمسّ وديعتها في البنك قبل موعدها.

وافقت وتوجَّهت إلى السيارة وانطلقوا في اتجاه ٦ أكتوبر. كان الشابان في غاية السعادة. وقفا عن أحد الأكشاك واشتريا حلويات وعصائر من أجل «التحلية»

أي لجعْل الحشيش الذي يدخنانه يفعل أكبر مفعول ممكن. شاركتهما السيجارة والمشروبات إلا أنها نامت... نامت وهي تتساءل: لماذا تلك السيجارة طعمها لا يشبه طعم أي سيجارة حشيش شربَتْها من قبل؛ فالطعم عادي لا يتجاوز طعم أي سيجارة أخرى دون أي مخدر بها؟ لكنها لم تتلقَّ الرد، فقد غالبها النوم مرة أخرى، ولم ترَ ابتسامتهما في الكراسيّ الأمامية.

23

أخيرًا استيقظ مروان مرة أخرى في غرفته في شقة فيصل. أفاق مفزوعًا خائفًا لا يعرف حقيقة ما يحدث. أفاق مفزوعًا إلا أن قراره بالتخلص من البقية كان واجب الحدوث الآن. أخذ شنطته مرة أخرى وتوجه بسرعة إلى عمرو فاضل متأكدًا أنه سيكون الأسهل وأن قتله سيكون بسيطًا لأنه ببساطة هو الوحيد الذي لا يعرف شيئًا عما يحدث. سوف يذهب إلى شقته على النيل وينتظر أن يختفي البواب قليلًا ويصعد إلى الشقة، يعرف مكان مفتاح الشقة فهو موجود في قصريّة الزَّرْع كما يتذكر..

قصرية الزرع الموجودة أمام الشقة التى في نفس جانب شقته ولكن قبلها بدورين. هو كان حريصًا دائمًا على أن لا يترك فرصة لصدفة أن يجد أحدٌ المفتاح أمام شقته ويدخل عليه ولكن إن وجد المفتاح أمام شقة أخرى ولم يفتح معه فأسوأ ما قد يحدث هو إلقاؤه في القمامة. إذن فالدور سيكون عند عمرو فاضل.. الأمر سيمر بسهولة ولن تكون هناك أي مشكلة في التخلص منه.

تخيَّلَ ما سيفعله أكثر من عشرين مرة، تدرَّب على ما سيقوله إذا فاجأه البواب بأي شكل من الأشكال «أنا مهندس الحي وهناك شكوى مقدمة بأن العمارة آيلة للسقوط وقد جئت لأفحصها». كان يكرر ما سيفعله ويقوله لدرجة أن الجالسين بجانبه في السيارة الأجرة ظنوا أنه مختلّ عقليًّا. وصل إلى محطة قريبة من منزل عمرو تمشَّى على الجهة الأخرى من كورنيش النيل حتى يستطيع مراقبة البواب من بعيد وعندما اقترب من العمارة لم يفهم...

هناك العديد من سيارات الشرطة في المكان. في شبَّاك عمرو هناك ضابط في زيٍّ مدنيّ يقف ويتحدث

مع ضابط آخر واصفًا له أشياء لا يستطيع أن يفسرها. استغرب في البداية قليلًا فقرر أن يَعْبُرَ بالقرب من البواب الذي يتحدث مع ضابط آخر يقف في الأسفل. البواب يتحدث عن جريمة قتل. عن سيدة كانت تحضر إلى هنا دائمًا. عن أنه طلب الإسعاف بمجرد دخوله إلى الشقة مُقْسِمًا أنه كان حيًّا بشكل ما. عن أنه ترك البوابة قليلًا من الوقت. عن رجائه للضابط أن يبعد اسمه عن تلك الشبهات فإذا عرف سكان العمارة أنه لم يكن موجودًا حين حدثت الجريمة سيطردونه.

نظر مروان إلى أعلى ورحل متوجِّهًا إلى كورنيش النيل محاولًا استعادة تفاصيل ما يحدث. فعلى الرغم من أن هدفه قد تحقق دون أن يشارك فيه فإنه مشترك مع عمرو في رُوح، أو في الحقيقة هو وعمرو شخص واحد ورُوح واحدة تعيش في جسدين. لا يعرف لماذا يشعر أنه هو مَن مات، لم يتخيل أنه سيحزن لموت أحد أجساده، ظن أنه عندما يحدث هذا سوف يكون في غاية الفرح، لا يعرف لماذا عندما وقف عند سور الكورنيش وأغمض عينيه رأى كأنه في كون صغير أحمر اللون ولم يسمع سوى

طَرقات صغيرة يصاحبها صوت صمت، لا يعرف كيف يسمع صوت الصمت ولكنه يسمعه.. خاف أن ينهار في الشارع أو أن يستيقظ أحد أجساده الأخرى فيسقط هنا تحديدًا فيلفت انتباه الضباط إليه، الضباط الذين سيوجهون له التهمة بمجرد أن يروا الحبل والسكين الموجودَين في الشنطة، الضباط الذين سيتأكدون أنهم على صواب عندما يجدون صور عمرو المعلَّقة في غرفة شقته.. لذا ابتعد عن المكان في أسرع وقت ورحل.

24

في شقة عمرو كان الكثير من ضباط المباحث والبحث الجنائي في كل مكان والمصورين يصورون كل شيء في الشقة. لم يكن عمرو فاضل في مكانه، لم يكن ينام في الغرفة. عمرو كان مذبوحًا في الصالة. الدماء في كل مكان. مَن قتله -على ما يبدو- كان لديه هدف السرقة أيضًا أو الانتقام. الضابط بخيت يحاول أن يتفحص الأحراز يسمع من كل الضباط. ينظر إلى الواقي الذكري الملقَى بجانب سرير عمرو في الداخل. ينظر إلى الولاعات والسجائر والكؤوس. يرفع «البحث الجنائي» البصمات. يؤكد بخيت أن التقرير يجب

أن يخرج إلى النور اليوم فكلما تأخر ضاعت الأدلة. عليهم أن يغلقوا الشقة جيدًا. يؤكد أنه سينتظر تقرير كل ضباط التحريات عن كل من رأى شيئًا يحدث في هذه الشقة أو بالقرب من عمرو ربما تكون هناك تأكيدات لكل الشائعات الخاصة بشذوذ عمرو فاضل. أن يحصلوا على تقارير جهاز أمن الدولة عن عمرو فاضل وكل المحيطين به. نادَى بأعلى صوته أن يرحل كل مَن انتهى دوره في الشقة وأن يعيِّن ثلاثة أمناء حراسًا على المكان. ووقف محاولا تخيُّل ما حدث.

25

تأكدتْ أم جهاد من أن زوجها في سابع نومة. توجهت بصحبة أم عزة إلى غرفة جهاد. حملتها الاثنتان وتوجَّهَتا بها إلى الخارج محاولتين عدم إثارة أي صوت في المكان يلفت الأنظار. وجه أم عزة تُخفِي منه أكثر مما تظهر. أمام بيت جهاد كان هناك صبي من صبيان أم عزة يقف بتوك توك منتظرًا كما أمرته سيدته. لحظات وتظهر الثلاث، يقوم هو بتشغيل التوك توك والتحرك. بمجرد أن استقروا في التوك توك انطلق بهم إلى الخُنّ «مكان عمل أم عزة».

عند وصولهم إلى الخُنّ، كان هناك أكثر من صبي آخر

في الانتظار، وهم مَن ساعدوا أم عزة على سرعة دخول جهاد إلى المكان دون أن يلفتوا الأنظار بالداخل، كانت الغرفة معبأة بدخان البخور، بخور برائحة الحشيش، بخور لا يمكن للموجودين في الغرفة رؤية بعضهم بعضًا جيدًا من كثرته. أجْلَسوا جهاد على أحد الكراسي وطلبت أم عزة من أم جهاد أن تخلع ملابسها وتنام تحت غطاء أبيض في أحد الأركان وبدأت هي في تلاوة «التعزيمة»، لحظات وكانت أم جهاد في مكانها متحفزة تكاد تبكي من الخوف ولكن بعد لحظات من استنشاق البخور بالحشيش كانت قد لانت أعصابها وابتسمت ابتسامة بلهاء منتظرة ما سيحدث. كان ظهرها في اتجاه جهاد ولا ترى ما يحدث معها لم ترَ الاثنين اللذين حملا جهاد إلى خارج الغرفة. كان فى الخارج اثنان، هما نفس الاثنين اللذين اتفقا مع سوسن على ليلة حمراء منذ ساعات. حملا جهاد إلى الخارج بعد أن سلَّمها أم عزة كروت ميموري مسجلا عليها أشياء يبدو أنها تخاف منها وفرحت بأنهما قد أعطياها إياها، مؤكدة عليهما أنها لن تراهما مرة أخرى. حملاها وخرجا بها ووضعاها في سيارتهما وانطلقا.

وقفت أم عزة مع صبيانها بعدما رحلا باصقة عليهما: «لِمُّوا حاجاتنا كلها عشان نمشي بعد ما تقعد تلطملها شوية.. وانت (وتشير إلى أحد صبيانها الذي يشببها) أهيه عندك جوَّه أهيه، عايزاك تفرهدها، تطلّع عينها، تنسّيها كل حاجة، وفي السريع عشان نلحق نمشي بدل ما تجيبلنا البوليس ولا تجيلنا بأبوها واخواتها». تدخل أم عزة مع الصبي إلى الغرفة، تُجلسه على كرسي بالقرب من أم جهاد، ترتِّل أشياء غير مفهومة، تمسك برأسها ضاغطة عليه حتى تستطيع أن توصل لها ما تريد أن تقوله بصوت منخفض: «شمندي يا ملك الجان جيبنالك جدر الزرعة اللي نفسك فيها.. جيبنالك أساسها تاكل منه». بعدما تنتهي من تلك الكلمات تقترب بفمها من أُذن أم جهاد مقرِّبة إياه جدًّا متحدثة في أذنها بصوت خفيض يشبه الفحيح «أمّا يركبك حظّي عليه، املكيه ماتشبعيش منه وماتشبعهوش، كل ما ينتهي ابدئي من جديد».. يحشرج الصبي بطريقة غريبة وعيناه جاحظتان جدًّا كأنه ملبوس بجنيٍّ فعلًا إلا أن نظراته الخاطفة إلى أم عزة تثبت أنه يؤدي دورًا يحفظه. نزع عن أم جهاد الغطاء، لم تحاول أن تخفي شيئًا من جسدها غير المتناسق؛ فقد زاد الحشيش

من نشوتها واستقبلته وهو يخلع ملابسه ويعاشرها وأم عزة تشاهدهما.

مرت ساعتان على أقل تقدير، كانت أم جهاد متعبة جدًّا ولكنها مبتسمة ابتسامة بلهاء واسعة. لم يعد هناك بخور في المكان. الآن الغرفة صافية وكل معالمها واضحة؛ الصبي يجلس على طرف المسند الذي كانا ينامان عليه وعلى وجهه علامات ندم مصطنَعة. تجيء أم عزة وتستقبلها أم جهاد بنظرة متسائلة: «ليه كده يا أم جهاد ليه كده؟ قلت لك اعملي له اللي هو عايزه نفّذي له كل طلباته ماتخلهوش يشبع منك أديه كِرْهِك وخطف بنتك عشان ينتقم من رفضك لطلباته.. ليه كده يام جهاد؟». تقف أم جهاد مذهولة ولكن ابتسامتها البلهاء لا تفارقها: «خطف البت..! خطف البت، يعني ضاعت مني مش هشوفها تاني... هههههههه يا ريتني ما وافقتك.. هاقول لابوها إيه».

- أم عزة: «روحي يا أم جهاد صلِّي يمكن بتك ترجعلك».

ـ أم جهاد: «يا لهوي يا لهوي هاقول لابوها إيه.. بتك اتخطفت؟!».

ترتدي ملابسها وهي تلطم وجهها وتخرج إلى الشارع تتساقط أكثر مما تمشي وتتوجه إلى بيتها لاطمة: «يا مصيبتك يا أم جهاد يا مصيبتك».

26

في أحد اليخوت العائمة بكورنيش الزمالك تدخل بريشكا على وائل السمري الذي يشرب قهوته أعلى اليخت بشورت وتي شيرت.. ينظر إليها باستغراب: «انتي إيه اللي جابيك دلوقتي».

- بريشكا: «مكتبك كلّمني بالليل وقالولي أجيلك النهارده».

- وائل السمري: «مكتبي!».

- بريشكا: «آه مكتبك.. أنا بقى عايزة أفهم إنت ليه

مانفّذتتش اتفاقنا.. طلباتك كلها باعملهالك والشركة عندنا قرّبت تقفل مستنيّة سعادتك تبتعلنا الطلبيات عشان نبدأ تسويق وتشتغل».

تسبب دخول بريشكا المفاجئ على وائل في ارتباكه؛ فهو لا يعرف مَن حدَّثها وما سبب هذا الحديث، قد تكون السكرتيرة أخطأت في طلبها أو أن بريشكا قررت أن تجيء من تلقاء نفسها لأنه تأخر عليها بالفعل. حاول أن يحيط بكل الشخصيات التي تهم أمجد وكانت بريشكا خياره الأمثل، فهو يعرف أنها لا تحب عمرو وأن ازدواجية عمرو الجنسية ومعاشرته لها ستقابلها بالتأكيد أسرار مختلفة سيبوح بها لكلٍّ منهم، وبريشكا في النهاية سيدة أعمال معروفة وزوجها الحقيقي كان في السنوات السابقة أحد أهم رجال الأعمال في مصر إلا أنه لم يتمكن من مجاراة السوق وكان على بريشكا أن تساعده بجمالها الأخّاذ في توفير كل ما تتمكن من توفيره من صفقات عن طريق هذا الجسد، وهذا كان الاتفاق بينهما أن تكون بريشكا واجهته في التعامل مع عمرو وفي نفس الوقت يستطيع التعامل معها بشكل راقٍ ويظل هو على علاقة الحب بينه وبين عمرو دون شائبة.

دخل إليه أحد حراسه وأعطاه مظروفًا أبيض كبيرًا استغربه في البداية متسائلا عمن جاء به، إلا أن الحارس أكد أنه لا يعرف، «شخص جاء وتركه هنا ورحل من المكان دون حتى أن ينتظر»، وارتسمت ابتسامة على وجه الحارس الذي قال: «كنت سألقي بالمظروف لولا أن الشاب الذي جاء بالأوراق أقسم لي أن سعادتك هتحلّي بُقّي أول ما تشوف الورق ده». استغرب وائل أكثر وفتح المظروف ووجد به مجموعة من الأوراق، فتحها فوجدها مستندات كثيرة كلها تخص عمليات وتجاوزات ضد أمجد مصطفى.. ابتسم وائل ابتسامة قوية ثم ضحك ضحكة مجلجلة وهو يقول له: «اعتبر نفسك بُقَّك اتحلَّى خلاص هههههههه».

إلا أنه انتبه إلى وجود بريشكا الغريب في هذا الوقت تحديدًا وظهور تلك الأوراق. حاول تجميع الخيوط مرة أخرى. شعر بأن هناك شيئًا خاطئًا يحدث، أو أن هناك صراعًا بين أمجد وآخرين يحاولون إسقاطه، أو أن أمجد يكيد له شيئًا.

دخل إلى المكان الضابط بخيت وبصحبته عدد من

الأمناء والضباط وأخبره أحدهم أن تحريات أمن الدولة هي ما أكدت وجوده في اليخت الآن، ثم أشار في اتجاه وائل مؤكدًا: «هذا هو هدفهم.. وائل باشا السمري..».

- وائل السمري: «إيه ده.. مين حضراتكم؟».

- الضابط: «أحمد بخيت، ضابط في قسم جاردن سيتي، وحضرتك مطلوب معانا..».

- وائل السمري: «أنا..! ليه؟».

- الضابط: «قتل عمرو فاضل..».

تكتم بريشكا صرخة وهي تسمعهم يتحدثون وظهرها لهم. ترتبك وتخاف من أن يجيء اسمها في الأمر.

- وائل السمري: «عمرو فاضل مين؟ المصمم..؟».

- الضابط: «لا يا باشا، بلاش نبتديها كده.. آه المصمم اللي حضرتك بتروحله وتقعد معاه.. صاحبك».

يُخرِج الضابط ولاعة وائل التي حملتها سميرة من قبل دون أن يلاحظ وهي موضوعة في كيس محافظةً على البصمات: «واللي نسيت عنده ولاعتك وحاجات

كتير تانية... يا ريت تتفضل معانا من غير شوشرة سواء بطقم الألعاب اللي حضرتك لابسه ده أو بأي قميص.. وبنطلون يعني عشان صور الصحافة وكده».

ينظر بخيت إلى شعر بريشكا فيتذكر حديث أحد التحريات عن سيدة تشبهها فيلتفّ حولها وينظر إليها متأكدًا من المواصفات ثم يبتسم لها ابتسامة واسعة ويمد يده بالسلام لها: «دي فرصة سعيدة جدًّا يا هانم، أكيد حضرتك الغزال اللي البواب بيحكي عنها، هو قال لنا إن اسمك فرفيش أو حاجة زي كده».

ترتبك بريشكا وتفكر قليلًا في التملص من الموقف إلا أن الأمر أصبح واضحًا، هناك مَن يحاول إيقاعها مع وائل ولن تستطيع الهرب: «بريشكا الليثي يافندم، سيدة أعمال، أنا هاجي معاكم بس عشان لا عايزة حد يبعتلي البيت ولا اسمي يطلع في حاجة، أنا هاقول كل اللي أعرفه وبس..».

- الضابط: «أحب أنا الجيبان من الآخر... طبعا يافندم كل ما كانت معلومات حضرتك كويسة كل ده ما سهِّل إننا نعمل ديل سوا».

كتير تانية... يا ريت تتفضل معانا من غير شوشرة سواء بطقم الألعاب اللي حضرتك لابسه ده أو بأي قميص.. وبنطلون يعني عشان صور الصحافة وكده».

ينظر بخيت إلى شعر بريشكا فيتذكر حديث أحد التحريات عن سيدة تشبهها فيلتفّ حولها وينظر إليها متأكدًا من المواصفات ثم يبتسم لها ابتسامة واسعة ويمد يده بالسلام لها: «دي فرصة سعيدة جدًّا يا هانم، أكيد حضرتك الغزال اللي البواب بيحكي عنها، هو قال لنا إن اسمك فرفيش أو حاجة زي كده».

ترتبك بريشكا وتفكر قليلًا في التملص من الموقف إلا أن الأمر أصبح واضحًا، هناك مَن يحاول إيقاعها مع وائل ولن تستطيع الهرب: «بريشكا الليثي يافندم، سيدة أعمال، أنا هاجي معاكم بس عشان لا عايزة حد يبعتلي البيت ولا اسمي يطلع في حاجة، أنا هاقول كل اللي أعرفه وبس..».

- الضابط: «أحب أنا الجيبان من الآخر... طبعا يافندم كل ما كانت معلومات حضرتك كويسة كل ده ما سهِّل إننا نعمل ديل سوا».

27

يدخل إلى كافيه «كونست» في وسط البلد شابٌّ في النصف الثاني من العشرينيات، لطيف الملامح واثق بنفسه جدًّا يدخل فاحصًا كل شيء حوله، يظهر محمد «الجرسون» فيطلب منه أن يقدم له أفضل مشروب في الكافيه أيًّا كان هو؛ فهو لم يَزُر المكان منذ فترة كبيرة ويرغب في شراب شيء مختلف. يجلس الشاب قليلًا في مكانه باحثًا عن شيء ما فلا يجده. تدخل مجموعة أخرى من الشباب إلى المكان فيفاجَؤون بوجوده ويرحبون به ترحيبًا كبيرًا وهنا نعرفه، اسمه محمد عبد الكريم، يعمل

صحفيًّا، قليل الظهور في الوسط. على الرغم من سماع الكثيرين عنه فإنهم لا يعرفون عنه شيئا إلا من خلال عمله. يقدم له الجرسون مشروب تفاح ساخنًا فيبتسم ويتذكر شيئًا ما. يتذكر أن «شيدر» يحب هذا المشروب تحديدًا أكثر من اللبن كأنه أحد المشروبات الروحية.. تفاح وقرفة وقرنفل تم تسخينها معًا مطلقة مزيجًا رائعًا من الروائح الذكية، باعثة في الروح نوعًا مختلفًا من النشوة. يسأل محمد عن القط فيسبّه الجرسون معلنًا أنه مطلّع عينه وأنه قط ابن كلب وأن والدته «القطة» بالتأكيد قد عاشرت فيه مجموعة من الذكور حتى يخرج إلى العالم بتلك القوة والشقاوة. يشرب محمد المشروب ويقرر أن يرحل. يجمع أشياءه مرة أخرى ويتوجه إلى الخارج، إلا أن «شيدر» يقفز عليه فيحمله ويبتسمان ويبتعدان عن المكان، وهنا يتحدث في التليفون، يتحدث وعلى الطرف الآخر الشابان اللذان خطفا جهاد واتفقا مع سوسن، مؤكدًا لهما أن القط في صحبته وأنه قادم إليهما.

28

في شقة بمنطقة المنيل تنام سوسن وجهاد في غرفة نوم صغيرة ولكنها نظيف جدًّا. الشابان يقفان بجانبهما، يدخل عليهما محمد بصحبة «شيدر» الذي يقفز على البنتين ويلحس بلسانه وجهيهما. يخرج الثلاثة، ويسأل أحدُهما محمد: «هو إزاي إنت وشيدر صاحيين؟»، فيخبره أن القطط كلها مثل «شيدر» ليست وسيطًا بين رُوح واحدة وإنما وسيط لسبع أرواح، قد يكون أيضًا وسيطًا لروح من أرواحهم، وطالبهما بأن يوقظا سوسن في البداية ليشرحوا لها كل ما يحدث ثم بعد هذا جهاد، مؤكدًا لهم أنه لم يكن ليفعل هذا

لولا تطور ما في الأحداث، ولولا قرار مروان قتل البقية.
أخبرهما أنه ليس مروان فقط مَن قرر هذا القرار ولكن
هناك شخصًا آخر، والأوان سوف يفوت عليهم إذا لم
يتَّحدوا ويتعلموا منه كيف يواجهوا ما يحدث، وجلس
على أحد الكراسي بعد أن أعطاهما أوراقًا كانا قد سجلا
فيها كل شيء في إحدى الليالي استعدادًا لتلك اللحظة.

29

دخل الاثنان مرة أخرى إلى سوسن وجهاد وأحدهما يمسك فيشة موصول بها سلك كهربائي، طرفاه تم تقشيرهما ليظهر السلك النحاسي الموجود بداخلهما، وضعا الفيشة في مقبس الكهرباء واقترب أحدهما من سوسن وبدأ في كهربتها. كان محمد في الخارج يشهق كأن روحه تُسحَب منه، أو وهي تُسحَب منه بالفعل تستيقظ سوسن في رعب بسبب الكهرباء، تأخذ أنفاسها بصعوبة، يحاول الشاب الذي يقف بجانبها تهدئتها: «اهدي اهدي.. بصِّي ليها». بعد أن حاولت تصرخ في

البداية تذكَّرت ما عرفته عن مروان وتذكَّرت ملامح جهاد فبدأت في البكاء وهي تصرخ: «فهِّموني.. فهِّموني إيه اللي بيحصل، أنا هاتجنن.. فهِّموني».

ينظر كل واحد من الشابين إلى الآخر بابتسامة بسيطة متأكدَين الآن لأول مرة عمليًّا من حديث صديقهما محمد عن الأمر فهو يحاول إقناعهما بحقيقة هذا الأمر منذ سنوات صداقتهم التي امتدت أكثر من ٢٠ عامًا، إلا أنهما تأكَّدا الآن، وبدآ في حكْي الحكاية لها: «في البداية إحنا ماكنَّاش مصدقين بس كل كلام محمد طلع صح، كل رُوح ليها سبعة أجساد بتعيش فيها.. سبعة مش جسد واحد. فيه ناس بتبقى فاهمة اللي بيحصل وناس فاكرة نفسها بتحلم وناس تانية مش بتفتكر غير لحظات استيقاظها».

يتوالى الشابَّان على الحكْي لكلٍّ من سوسن وجهاد، يوقظان كلا منهما على حِدَة بالكهرباء فتنام الأخرى. ثارت جهاد أول مرة إلا أنها تفهَّمت الأمر بعد ذلك وبدأت في الاستماع قليلًا قليلًا. أيقظا عبد الكريم مرات من أجل الإجابة عن أسئلة لم يكونا يعرفان عنها شيئًا. انتهى من حكْي الحكاية وبدآ في سماع حكاية عبد الكريم.

البداية تذكَّرت ما عرفته عن مروان وتذكَّرت ملامح جهاد فبدأت في البكاء وهي تصرخ: «فهِّموني.. فهِّموني إيه اللي بيحصل، أنا هاتجنن.. فهِّموني».

ينظر كل واحد من الشابين إلى الآخر بابتسامة بسيطة متأكدَين الآن لأول مرة عمليًّا من حديث صديقهما محمد عن الأمر فهو يحاول إقناعهما بحقيقة هذا الأمر منذ سنوات صداقتهم التي امتدت أكثر من ٢٠ عامًا، إلا أنهما تأكَّدا الآن، وبدآ في حكْي الحكاية لها: «في البداية إحنا ماكنَّاش مصدقين بس كل كلام محمد طلع صح، كل رُوح ليها سبعة أجساد بتعيش فيها.. سبعة مش جسد واحد. فيه ناس بتبقى فاهمة اللي بيحصل وناس فاكرة نفسها بتحلم وناس تانية مش بتفتكر غير لحظات استيقاظها».

يتوالى الشابَّان على الحكْي لكلٍّ من سوسن وجهاد، يوقظان كلًا منهما على حِدَة بالكهرباء فتنام الأخرى. ثارت جهاد أول مرة إلا أنها تفهَّمت الأمر بعد ذلك وبدأت في الاستماع قليلًا قليلًا. أيقظا عبد الكريم مرات من أجل الإجابة عن أسئلة لم يكونا يعرفان عنها شيئًا. انتهى من حكْي الحكاية وبدآ في سماع حكاية عبد الكريم.

ظل يحكي لصديقيه ثم يحكيان هما لسوسن وجهاد «فى أثناء حمل أمه أُصيبت بمشكلة في رحمها، وتوجَّب أن يولد في شهره السابع. كانت روحه في هذا التوقيت في جسد أحد القَتَلة في ولاية من ولايات أمريكا، قاتِل يواجه عقوبة الإعدام بكرسيّ الكهرباء، جاهَد هو أن يظلّ على قيد الحياة وهو يرى النور ويسمع الأصوات في أولى لحظاته في الكون وفي نفس التوقيت كانت الكهرباء التي يُعاقَب بها القاتل تُرغِم الروح على الوجود في جسده لحظات. ظلت الروح بين جسده وجسد الرجل إلا أنه تمكَّن في النهاية من الحفاظ عليها؛ فصحّته وبراءته كطفل استطاعت أن تُبقِي على الروح فيه، ومنذ ذلك اليوم كان يستطيع أن يُبقِي على روحه في هذا الجسد وأن يتمكن بعد ذلك من أن يتسمتع بتلك الروح دون أن يشعر بوجوده أحدُهم، إلا أنه قرر الظهور بسبب ما يحدث وخوفًا عليهم».

تذكَّرت سوسن تلك الليلة التي تحدَّث عنها محمد، وكيف أقنعتها أمُّها في الصباح أنها حلمت حلمًا بسبب أفلام الرعب التي كانت تشاهدها في المساء، ومنعت

عنها المشاهدة منذ تلك الليلة. وجدت تلك الحكايات المشتركة بينها وبين محمد. ترددت في أذنها الكلمات التي تسمعها من صديقيه متخيلةً صوته بناءً على شكله وجسده الذي تقف أمامه الآن: «إحنا مشتركين مع بعض في رُوح مش بس في ذكريات وتفاصيل، واحتمال نبقى أكتر من سبعة أو أن كل سبعة موصولين بروح أكبر، ماعرفش.. أنا حاولت أنقذ عمرو بس مالحقتش، كنت عارف وباحاول أقنعهم إنهم مش فاهمين في حاجات كتير همَّا مش فاهمينها.. خايف أحاول أوْصَلّهم يخلصوا مني بشكل ما». شرح لهما لماذا قام بخطفهما الآن وأخبرهما أن هناك أوراقًا مع وائل السمري كان قد أرسلها إليه محاولًا الضغط على أمجد من أجل إلغاء خطته لقتل عمرو فاضل إلا أنه لم يتمكن من إلغائها لأنه لم يستيقظ حتى الآن ولم يتمكن من الوصول إليه لأن سميرة لا تعرف عنه أي شيء. يقرر الثلاثة أن يناموا لأن لعبة الكهرباء لن يتحملها الجسد كثيرًا ووجبَت عليهم الراحة.

30

استيقظ مروان في الأوتوبيس النهري الذي ركبه من كورنيش المعادي متجهًا إلى الزمالك، لمعت عيناه بكل ما عرفه عن طريق سوسن وجهاد... الآن يعرف أكثر عما يمرّ به، والفكرة التي جاءته ستكون مفاجئة للجميع، غادر الأوتوبيس النهري في محطة ماسبيرو وتوجَّه إلى وسط المدينة، وقام بشراء صاعق كهربائي وتأكد من أنه يعمل وأمسكه بيده متأكدًا أن التي شيرت الذي يرتديه يخفي الصاعق، ثم توجَّه إلى المستشفى الذي ينام فيه أمجد، طالبًا مقابلة سميرة بعد أن أخبر العاملين أن لديه موعدًا معها، مؤكدًا أن يتم إيصال اسمه لها؛ فهي أحد الذين شاركوا في

دخوله المستشفى وهو يعلم هذا. وافقت سريعًا وجلس معها متحدثًا عن وجوب إنقاذ مصالحها، وأن عليها أن توقِظ أمجد وتخبره بكل ما يحدث، أو تحديدًا بخطته أنه لم يعد هناك داعٍ من وجود سوسن وجهاد، وأن الحل الآن أن يبقيان هما الاثنان فقط؛ فمحمد سيتمكن من تعليم جهاد وسوسن كيفية السيطرة على أفكارهما وأوقات وجود الروح فيهما، وقد يستخدمان ما يعرفانه عن أمجد وعنه في التخلص منهما أو الضغط عليهما كما فعلا بالأوراق مع وائل. وأخبرها أن السر الآن في الصاعق الكهربائي، عليها أن لا تتركهما ينامان مهما حصل، وأن توقظ أيًّا منهما قبل أن ينام الآخر. ترددت في البداية من فعل هذا إلا أنها رضخت لما يقول خصوصًا أنها لا تصدق أمجد منذ البداية، إلا أنه من الصعب أن يكون أمجد ومروان «مجانين» بنفس الطريقة، وكل ما يهمّها الآن هو الإبقاء على أمجد ليحيا أكبر فترة ممكنة، خصوصًا أنها لم تستفِد بعد بشكل جيد من اتفاقها معه ضد وائل. أجلست مروان بجانب أمجد وصعقت أمجد لحظات ولم يستيقظ على الرغم من نوم مروان، إلا أنه على ما يبدو أن السبب هو المسكنات التي يأخذها، فصعقته مرة أخرى فاستيقظ.

بمجرد أن استيقظ أمجد ظل يضحك كثيرًا عندما عرف أن خطته التي أعدّها للإيقاع بوائل نجحت، وأن الأخبار قد جاءت لسميرة بأنه قُبض عليه بالفعل، ونَعَتَه بالعيل الصغير الذي لا يمكن أن يوازيه في ذكائه، مستعجبًا من غبائه الذي جعله يظن أنه سيخاف من إحباطات عمرو وسوسن والبقية، مؤكدًا أنه كان يعرف أن هناك شخصًا آخر غير المجموعة يفعل أشياء من ورائه. مؤكدًا أنه هو الآخر غاية في الغباء، فليرينا ماذا سيفعل الآن بعد أن ظهر وبعدما قرر أن يتحداه. الآن سوف يخسر أول مَن وُلد فيهم أن يكون في صفِّه... سوف يقتل له سوسن وجهاد والقط وسيكتب أموالًا طائلة لمروان ويسخِّر كل العاملين معه في الوصول لمحمد والتخلص منه، ثم نظر إلى سميرة بعينين يملؤهما الشرّ قائلا: «موبايل سوسن في شنطتها، كلّمي أي حد من أصحابك في الشركة واعرفي مكانهم وخدي مروان وكام راجل من رجالتك واخلصوا منهم».

بعد أن تعرف مكانهم تتوجه سميرة ومروان وخمسة رجال إلى المنيل، وهم في الطريق يعطيها مروان الصاعق ويطلب منها أن توقظه في حالة إذا حدث أي شيء، ثم

نام. بعد أكثر من ساعة وصلوا إلى المنيل في الثامنة مساءً، سائلين عن العنوان الذي جاء به عامل شركة المحمول.

في المنزل كان الثلاثة «محمد وجهاد وسوسن» ينامون... هم فقط في المنزل إلا أن صديقيه الاثنين جاءا بطعام ومشروبات ليأكل محمد والآخرون. يحاولون إيقاظه فلا يستيقظ. يكهربونه فيستيقظ، ولكن سميرة تلاحظ أن مروان نام فتصعقه أكثر من مرة، والروح تنتقل من هنا دون جدوى. ينظر الشابَّان بعضهما إلى بعض ويتذكَّران مقولة محمد «لو حسيتوا إن فيه حد بيسحبني منكم حطوا الكهربا على قلبي وماتشيلوهاش إلا لما أصحى أو... هههههه، أموت». يفعلان هكذا حتى يستيقظ. يقوم متهاويًا، لا يستطيع أن يقف على قدميه إلا أنه يتحامل على نفسه حتى يقف: «بـ.. بسرعة... جاييين».

يفزع الآخران: «همَّا مين..؟».

محمد: «قُلت لكم إنها مش هتعدّي على خير.. يلّا زيّ ما اتفقنا».

يجري إلى الداخل يقلب شنطته رأسًا على عقبٍ حتى يحصل على الموبايل، ويخرج خلفه الاثنان يحمل كلٌّ منهما إحدى البنتين، ويصعدون إلى إحدى الغرف الصغيرة على السطح... يقف محمد عند الباب ويتركه مفتوحًا ويتوجه إلى أسفل جريًا.

يصل محمد إلى باب العمارة الخارجي التي يسكن فيها... ينظر في الشارع منتظرًا وصول سميرة والبقية إلى المكان. يمسك بقلبه ويحاول أن يتماسك وسط محاولات سميرة صعق مروان. يستند محمد إلى الحائط ويأخذ نَفَسًا عميقًا كأنه سوف يلقي بنفسه في بحر، أو كأنه يستعد للسباحة، ثم يتوقف أمام السيارة فتفرمل بقوة ويستيقظ مروان للحظات ويصرخ في اتجاهه: «هو ده محمد.. هو ده». وقبل أن يسقط يكون مروان قد نام مرة أخرى. ارتبكت سميرة وأمرت رجالها بالتخلص منه. ويكون هو قد استعاد روحه مرة أخرى وبدأ الجري للتخلص منه. يطاردونه بالسيارة وهو يجري في شوارع المنيل. يطاردونه حتى يدخل إلى أحد الشوارع الجانبية، إلا أن علامات الذعر تظهر عليه لأن الشارع مغلق بسبب

سيارة نقل كبيرة تقوم بتفريغ حمولتها من الرمال. يتوقف لثوانٍ لكي يأخذ قرارًا ويعود مسرعًا إلى بداية الشارع مرة أخرى وتظهر أمامه السيارة التي فيها سميرة والآخرون، فيقفز على مقدمتها ويجري مبتعدًا. ينزل أحد الرجال ويبدأ في الجري وراء محمد، والآخرون الذين فى السيارة يحاولون اللحاق بهما.

يخرج إلى شارع عباس في المنيل (وهو الشارع الرئيسي). يحاول تفادي السيارات. يتوقف قليلًا. يزداد الطنين في أذن محمد. طنين لا يعرف سببه، كما أنه لا يعرف مصدر الإضاءة الحمراء التي يراها كلما أغمض عينيه وهو يجري. لا يلاحظ «شيدر» الذي يقف ويتابع كل ما يحدث. يتوجَّه إلى الشارع محاولًا تفادي الحارس الذي كاد يمسك به. تظهر السيارة مرة أخرى وتجري وراءه على الرغم من جريه عكس الطريق. يُرهَق من الجري. ينظر خلفه فيرى أحد الحراس يُخرِج مسدسه ويصوِّبه في اتجاهه؛ فيرتعب. يعبر إلى الجهة الأخرى بسرعة دون أن يلاحظ هذا الرجل الذي يعبر من الجهة المقابلة في نفس اتجاهه. يصطدم به وتظهر سيارة في الطريق بشكل مفاجئ فتصدم الاثنين. فيُغمَى عليهما.

هنا يقف «شيدر» وهو يركِّز على محمد.

في نفس الوقت، في مستشفى «الجلاء للولادة» كانت نهى تَلِد مولودها الأول الذي اتفقت مع والده على أن تسميَه «آدم». سمعَت صرخته التي تداخلت مع صوت زغاريد حماتها ووالدتها. زغاريد تزداد مع صراخ الطفل أو مع آدم الذي وُلد بروح محمَّلة بطيبة محمد وشرّ أمجد وبراءة جهاد... رُوح محمَّلة بكل تلك الذكريات، ثم صَمَتَ مرة أخرى والممرضة تقوم بلفِّه في لفافة قماش كانت أمُّه قد اشترتها منذ أن تزوجت حتى تكون أول ما يرتديه في الدنيا، معلَّقةً في أولها خرزة زرقاء منعًا للحسد.

لم يكن يدري الرجل الذي اصطدم بمحمد أن حياته ستنقلب رأسًا على عَقِب. مرَّت لحظات وهو نائم على الطريق وقد أوشك على مفارقة الحياة. روحه لم تعد موجودة في جسده، إلا أن رُوح محمد كانت تبحث عن جسد، فعاد للحياة فجأةً... عاد وهو يشعر أنه وُلد من جديد، وُلد بروح أخرى. وقف على قدميه ونظر حوله في بلاهة وهو لا يعرف كيف يشعر به وكيف عرف مروان النائم في السيارة في الجهة الأخرى، وكيف عرف محمد

الميت على الأرض، وكيف عرف تفاصيل حياته... لم يستوعب كل ما شعر به فجأة. ترك أصدقاء محمد يجْرون إليه وهو ملقًى على الأرض وهم يصرخون بسبب موته. مرَّ إلى الجهة الأخرى وجلس على أحد الكراسي الموجودة على كورنيش المنيل ليستريح.

في غرفة العناية بأمجد مصطفى ظل جهاز النبض يُصدِر صافرة معلنًا توقُّف قلبه حتى جاء الدكاترة والممرضات محاولين إسعافه وصعقه إلا أن مهلة صلاحية جسده كانت قد انتهت ومات بالفعل، وأعلن الدكتور أنه في تمام الـ٩ مساءً توفِّي رجل الأعمال الشهير أمجد مصطفى، وهو ما عرفته سميرة في نفس اللحظة من عيونها الموجودة في المستشفى؛ لذا قررت العودة سريعًا حتى تستطيع إعادة ترتيب كل شيء قبل أن يقرر أولاده طردها.

وهنا كان محمد يفتح عينيه ناظرًا إلى السماء الصافية مبتسمًا ابتسامة كبيرة وقف بعدها مستندًا إلى صديقيه الذي مسح كلٌّ منهما دموعه فرحَيْن بعودة صديقهما للحياة، وعندما اقتربا من الرجل الذي يجلس على كرسي الكورنيش ابتسم أكثر وقال لأحدهما: «هاتوه.. ده بقى

معانا إحنا»، وذهب إلى أعلى حتى يشرح للجميع ما تغيَّر في تركيبة روحهم مرة أخرى.

تمَّت بحمد الله وفضله ونعمته

سبعة أرواح

كانت تترك الماء الساخن يأخذ جروح روحها إلى الصرف

قبل أن يأخذ أوساخ جسدها..

كانت تحاول التخلص من كل توتراتها،

وتشعر بهذا الدفء يتخلل مسامها..

لكنها تشعر بشيء ما..

هناك مَن يشاهدها..

ينظر إليها..

هذا الشعور الذي تواجهه في بعض الأحيان..

شعور بأن هناك مَن يراقبها في لحظات لا تعتمد على المكان..

كلما حاولت الغوص في روحها وذكرياتها

شعرت بهذا الإحساس..

لا تفهم السر..

لكنها تشعر به الآن..

تصميم أحمد مراد

المصري للنشر والتوزيع